

# انفاس

## مجلة فكرية عربية مغربية

- تطورات الحركة الطلابية المغربية
- الصراع الطبقي في مصر من ١٩٤٥ الى ١٩٦٨
- التشاد
- النقد الذاتي وأزمة التفكير السلفي
- التجديد الثقافي والتحرر الفكري
- الوضع الاجتماعي في منطقة ظفار

العدد الثاني  
يونيو 1971



# انفاس

مجلة فكرية عربية مغربية (تصدر شهريا)

العنوان : ٤ شارع باستور . الرباط . المغرب

ح . ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ - ٢٣٠

المسؤول عبد اللطيف اللعبي

3	أنفاس	تبعات الهزيمة	الافتتاحية
7	احمد أبو المجد	تطورات الحركة الطلابية المغربية	قضايا وطنية
15	عبد الكريم الظفاري	الصراع الطبقي في مصر من ١٩٤٥ الى ١٩٦٨	قضايا عربية
25	عيد الكريم الادريسي	التشاد	حركة التحرر الوطني
29	عبد القادر الشاوي	النقد الذاتي وأزمة التفكير السلفي	شؤون فكرية
36	عبد اللطيف اللعبي	التجديد الثقافي والتحرر الفكري	الركن الايديولوجي
48	ابراهيم السرفاتي	شبيبتنا في أفق الثمانيات لمحمد لحبابي	الخزانة التقديمية
52		دراسة تحليلية عن الوضع الاجتماعي في منطقة ظفار	وثائق
63		اضراب قطارة	مراسلات





# افتتاحية

## فى ذكرى 5 يونيو : تبعات الهزيمة

الساحق ، مؤكدة بذلك من جديد أن «من هم وراء اسرائيل» يربطهم بها الف حبل من المصالح الصلبة ، وساند الاتحاد السوفيتاى موقف التراجع ووقف اطلاق النار وطريق مناقشات الامم المتحدة «لمحق آثار العدوان» .

أما الانظمة العربية وجيوشها فتقهقرت فى هزيمة فظيعة ، بعد عشرين عاما من اللفظ حول «الجهاد من أجل تحرير البقاع المقدسة من الاقدام الدنسة» ، وألحديث الحماسى عن «المجهود الحربى» و «حشد القوى لمناطحة اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل وتحرير فلسطين السليبية» . وعادت بعد فترة من الهزيمة لترفع من جديد نفس الشعارات فى منصات مؤتمرات القمة معلنة أن «لا صلح ولا تفاوض ولا سلم مع اسرائيل»

لكن الواقع العملى هو أن الهزيمة مثلت اعلانا تاريخيا دمويا عن عجز الانظمة العربية بتركيبها الطبقي عن التحرير الفعلى لشعب من الاراضى العربية . وخطها فى «مواجهة العدو» خلال فترة ما بعد الهزيمة خط تراجعى يؤكد ذلك بجلاء (نشر فى هذا العدد مقالا حول «الصراع الطبقي فى مصر» هو تلخيص لكتاب أصدره المناضل المصرى محمود حسين) .

♦ فقد نهجت كخط استراتيجى أسلمسى طريق «الحل السلمى» الذى لم يلبث أن انفضح مضمونه

منذ أربع سنوات ، فى 5 يونيو 1967 ، كان العدوان الصهيونى الفاشم على البلاد العربية ، وهزت الهزيمة النكراء كيان كل عربى وكل متحرر فى العالم ، واغضبت الفاجعة ملايين الجماهير الشعبية التى أتقنت الطبقات السائدة ابتعادها عن خط المواجهة وحصر دورها فى انتاج فائض القيمة لتمويل رفاهية البرجوازية والاقطاع ، وهبت الجماهير فى مظاهرات جارفة تريد العصف بالاغلال والقيود ، تريد تكسير الاصنام وتنحية العجزة ، تريد السلاح للرد على العدوان الامبريالى - للصهيونى جذريا وكليا وحتى التحرير الشامل (مظاهرات 9 - 10 يونيو فى مصر ، مظاهرات فى مجموع الوطن العربى ، تعميم الثورة المسلحة فى الخليج) .

لقد حقق العدوان الهمجى للصهيونية وثبة خارقة فى توسعها نحو بناء «اسرائيل الكبرى» بالتدمير والابادة العنصرية . هكذا بسطت جيشها الوحشى على مساحات شاسعة جديدة من الاراضى العربية تكتسى أهمية استراتيجية واقتصادية حيوية (ضفة القناة ، سيناء ، خليج العقبة ، مرتفعات الجولان ، الضفة الغربية لنهر الاردن) . وقد مارست الامبريالية الهزيمة النكراء كيان كل عربى وكل لتحرر فى العالم ، الامريكية استراتيجيتها العدوانية الى أقصى حد ، حيث دعمت اسرائيل كليا وضمنت تفوقها العسكرى





الحقيقي : الاعتراف بالوجود الصهيوني وبالتالي محو  
« مهمة تحرير فلسطين من جنود الاعمال ، المساومة حتى  
في شأن الاراضى المحتلة » (الآخرى) .

وكان منطلق الاتجاه قبول الانظمة العربية (أو  
رفضها اللفظي) لقرار لجلس الامن رقم 242 (الصادر  
فى 22 نونبر 1967) ثم لمشروع روجرز اللذين يقضيان  
« بتصفية آثار العدوان وتصفية القضية الفلسطينية  
معاً » . وعلى أساس هذا القبول ذهب أهل الهزيمة مع  
يارينغ - مبعوث الاستسلام - فى جولة مفاوضات  
« غير مباشرة » دامت سنوات وعرقل نجاحها السريع  
تعنت اسرائيل فيما يخص شروط الانسحاب وليس  
رفض أهل الهزيمة التفاوض لفظيا . هكذا تدرج  
موقف « لا تفاوض » الى ممارسة التفاوض ، وصاحب  
ذلك تدرج موقف « تحرير كل شبر من الاراضى » الى  
المبادرة باقتراح الانسحاب بضعة أشبار (الاقتراح  
المصرى الاخير بفتح قناة السويس مقابل تراجع جيش  
الاحتلال الصهيونى بضع خطوات الى الوراء) .

وقد صار غير بعيد أن يصل أهل الهزيمة فى  
جولتهم الدبلوماسية الى مستنقع الاستسلام التام والتخلي  
عن جزء هام من الاراضى المحتلة وربما ايضا ترك مجال  
الملاحه حرا للسفن الصهيونية فى القناة ، وما الانقلاب  
الاخير فى مصر الا تعبير عن استكمال تهيمى شروط  
الاستسلام العلنى بتصفية الجناح الذى ما يزال يعتقد  
بإمكانية التحرير العسكرى للاراضى المحتلة وبضرورة  
سد الباب أمام المصالح الامريكية . لكن ، اطبعا ،  
ضمن نفس المعطيات الطبقيه القائمة (سيطرة  
برجوازية الدولة) . وفى هذا المجال وقع تدرج شعار  
« توطيد الجبهة الداخلية » بمعنى صيانة وحدة الطبقة  
الحاكمة الى ممارسة التصفية ضد الجناح الغير القابل  
للاستسلام المكشوف (نعنى بالجناح الاطر القاعدية

للاتحاد الاشتراكى وليس عناصر القمة المتنوعة دواعى  
خلافتهم) . ونفس التطور وقع فى سوريا بضعود حافظ  
الاسد .

♦ على الصعيد العسكرى تبنت الانظمة العربية  
شعار « حشد الطاقات » و « اعادة بناء القوات المسلحة »  
فى انتظار « المعركة الفاصلة والحاسمة » . بمعنى انها  
احتفظت بنفس استراتيجية الحرب الكلاسيكية بواسطة  
الجيوش النظامية ، أى بنفس الشروط التى أعطت  
الهزيمة . لكن خط « المواجهة العسكرى » صار دفاعيا  
أيضا ، وصار جزءا مكملا لخط التفاوض والحل السلمى  
وليس انعكس . ذلك أن التوازن الدولى بنى الولايات  
المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتى يجعل هذا  
الاخير يحصر دعمه لانظمة الهزيمة فى حدود دفاعية  
بحته . بينما تقوم الولايات المتحدة بتوفير التفوق  
المطلق عسكريا لاسرائيل . ثم ان الانظمة العربية هى  
أساسا معادية طبقيا لبرنامج التفوق النوعى على العدو  
باستراتيجية الحرب الشعبية الطويلة المدى على الطريقة  
الفيتنامية . ولذا تدهور موقف « لا سلم مع اسرائيل »  
الى مجرد حرب استنزاف يراد منها الضغط على اسرائيل  
كى تنقص من طفيليتها فيما يخص شروط الهدنة . وبعد  
فشل هذه الحرب الهزيلة ذاتها (بفعل هجومات  
اسرائيل بالطيران فى أعماق الاراضى المصرية)  
تدرج الموقف الى مستوى قبول وقف اطلاق النار تم  
الى قبول تمديد الفعلي الدائم .

♦ وعلى صعيد الثورة الفلسطينية تجلى تخاذل  
الانظمة البرجوازية بشكل مقيت ، لقد هملت بها لاول  
وهلة بهدف ازالة مسؤولية التحرير عن نفسها أمام  
الجماهير ، وبهدف الضغط على اسرائيل . ولكنها بذات  
الوقت لم تدخر كيدا فى محاولة فرض وصايتها  
السياسية والمادية على المقاومة كى تستطيع خنقها فى  
الوقت المناسب بواسطة شبكة دويلة مصطنعة أو



بواسطة التطويق المدفعى ، هكذا تدحرج موقف مساندة المقاومة الفلسطينية الى موقف الصمت التام والتزكية العملية للمذابح الشنيعة التي نظمتها الرجعية الاردنية و « من هم وراءها ووراء اسرائيل » ضد الفدائيين . وهكذا تحول هدف تحرير فلسطين كاملة الى مجرد الاعتراف ببعض «الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني» ثم الى ترك الشعب الفلسطيني وشأنه فى المذبحة .

♦ ان الهزيمة اثبتت عجز أنظمة برجوازية التوتة عن التقدم خطوة فى تحقيق مطامح الجماهير العربية فى التحرير الشامل من الصهيونية والامبريالية . ولتقدم نحو الاشتراكية وفى تحقيق الوحدة العربية . ذلك أن تلك الانظمة تضع مصالحها الاستغلالية وتطلعها للرفاهية الانانية فوق متطلبات التحرير الوطنى . ولم تصل الطبقات المعنية التى صعدت للسلطة على أساس تلك الشعارات الا الى التراجع عن بعض المكتسبات فيها (تجميد الصراع مع الانظمة العربية المتعاملة مع الامبريالية بل وحتى مع الصهيونية ، السير بسرعة الى التبرجز والبذخ ، قمع الجماهير الشعبية ، تحويل شعار الوحدة الى ممارسات موسمية متعثرة) . والوحدة الاخيرة بين مصر وسوريا وليبيا ، ليست استثناء فى خط التراجع . ذلك انها فوق طبيعتها الطبقية ، وطابعها التاكتيكي تجاه الجماهير قصد استبدال الفشل الفعلى فى مهمة التحرير بنجاح سطحي فى «مهمة التوحيد» ، وكونها تكتيكية أيضا قصد دفع العدو الى النقص من حجم شروطه ، فوق ذلك هى وحدة وقتية قد تنفجر فى حالة تطبيق الحل السلمى (بحكم التناقضات بين برجوازيات شاخت وأخرى صاعدة ، والتناقض بين مؤمنين بالحرب بعيدين عن «الجبهة» ومؤمنين بالاستسلام قريبين منها) .

والقاسم المشترك بين الطبقات السائدة على صعيد العالم العربى هو السير نحو الاستسلام المفصوح ، مع تركيز كل الجهود على ارساء دكتاتوريتها ضد الجماهير

الشعبية . هكذا تقمع كل حركة جماهيرية وتقمع كل مناضل تقدمى وتحيك المؤامرات الخبيثة ضد كل حركة ثورية (ذبح المقاومة ، اعتقال وتعذيب المناضلين التقدميين ، استفزاز وتطويق ثورة ظفار) .

♦ ان مسألة البديل الثورى تطرح نفسها . وقد «مثلت الثورة الفلسطينية النقطة المضيئة الوحيدة على خارطة الوطن العربى» ، غداة حرب يونيو . ولم تلبث ثورة الخليج العربى المحتل أن فرضت نفسها كنموذج للطريق الجذرى الذى يتطلبه التحرير . (ننشر فى هذا العدد وثيقة حول الوضع الاجتماعى فى ظفار صادرة عن الجبهة الشعبية لتحرير الخليج العربى المحتل) .

وقد كانت «حملات التطويق والابادة» التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية على يد العملاء تعبيرا مرا عن مدى ارتباط مصير الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وخاصة فى المنطقة المجاورة لاسرائيل ، بمعنى أن تحرير فلسطين مهمة موازية لتقدم الثورة فى البلاد العربية بقيادة طبقة جذرية : العمال والفلاحين الفقراء ، قادرة على ضمان الاستقلال التام عن الامبريالية وبناء جبهة طبقية اقتصادية وعسكرية مجندة لصالح هدف التحرير والوحدة .

ان تصاعد النضال الجماهيرى ضد المصالح الامبريالية والاستغلال الطبقي والقمع وضد الاستسلام والحلول التصفية لهو الطريق الفعلى لمناطحة العدو وعملائه جذريا .

ولتكن ذكرى هزيمة يونيو النكراء ، مناسبة جديدة لاستخلاص الدروس ، واستجماع النفس الثورى لمواجهة الهام النضالية المطروحة تجاه استئصال مواقع قوى الاستعمار الصهيونى والاضطهاد الامبريالى واستئصال الجنود الطبقية للخيانة والهزائم .

انفاس



# قضايا وطنية

## تطورات الحركة الطلابية المغربية

احمد أبو المجد

الصهيوني الامبريالي سنة ١٩٦٧ ، الى الاضرابات والتظاهرات التي عرفت السنوات الاخيرة .

وهكذا يتجلى أن الحركة الطلابية المغربية ، شأنها في ذلك شأن الحركات الطلابية في بلدان ما يسمى بالعالم الثالث ، تشكل قطاعا جماهيريا نشيطا وزاخرا بالطاقات ، قطاعا متقدما (ولا نقول طليعيا) مما جعل أنظار المنظمات والاحزاب السياسية من جهة ، والحكم من جهة ثانية ، تتجه اليها وتهتم بها ، اما للسيطرة عليها واعطائها توجيهها « مرضيا » من ناحية ، أو لقمعها وتشتيتها وصدها عن أهدافها من ناحية أخرى .

وهذا المقال لا يرمي الى سرد مفصل لتاريخ الحركة الطلابية ، ولا الى تحليل دقيق لمختلف الظروف الذاتية والموضوعية التي تؤثر عليها وتعطيها الملامح المعقدة والمتناقضة التي تظهر بها من خلال حياتها اليومية . فمع اقتناعنا بضرورة هذين المنهجين (وهذا ما يمكن القيام به في مقالات لاحقة) سنكتفي باعطاء خلاصات عامة تتركز بالاساس على المرحلة الحالية التي وصلت اليها هذه الحركة .

شكلت الحركة الطلابية المغربية ، منذ بذور نشأتها كحركة ، وإلى الآن ، رافدا هاما من روافد الحركة الوطنية والتقدمية ببلادنا . وكانت مختلف المراحل التي تمر بها الحركة الوطنية والتقدمية وكل التحركات التي تقوم بها الجماهير الشعبية تحدث أصداء وانعكاسات على الحركة الطلابية ، بالإضافة الى التحركات التي يقوم بها الطلاب من أجل مشاكلهم « الخاصة » (ان صح التعبير) هذه المشاكل الجامعية والتعليمية التي ترتبط ، في نهاية التحليل ، بالتطور السياسي والوضعية الحالية للبلاد .

فلقد ساهمت الحركة الطلابية المغربية فسي المعركة من أجل الاستقلال، بواسطة تنظيماتها اذاك (جمعية الطالب المغربي ، جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا ٠٠٠) والتي كانت موجودة بالخارج نظرا لعدم وجود جامعة بالمعنى الصحيح بالمغرب ، وساهمت في مختلف معارك ما بعد « الاستقلال » : من مظاهرات التأييد للثورة الجزائرية، الى حركة الاحتجاج ضد قمع المناضلين التقدميين سنة ١٩٦٣ ، الى حركة مارس ١٩٦٥ ، الى مظاهرات التنديد بالعدوان

## الظروف الذاتية الموضوعية للحركة الطلابية المغربية :

هنالك عوامل عدة تجعل الحركة الطلابية فسي مستوى النشاط والحيوية الذين اشرنا اليهما آنفا ، نجملها فيما يلي :

● الحركة الطلابية حركة شباب مثقف ، متفتح بحكم وضعيته على تيارات ثقافية وايدولوجية وسياسية عديدة ، ومتأثر بأخر تطوراتها ، كما يتوفر الى حد كبير على المفاهيم والنظريات التي تمكنه من فهم الوضعية التي تجتازها بلاده وتقييمها وتصوير امكانيات تغييرها . مما يخلق جوا من الوعي والحاجة الى النشاط السياسي .

● والمجتمع الطلابي مجتمع جد متمركز ، في مناطق السكنية ومطاعمه ، بل وحتى في أماكن الترفيه والتسلية ، مما يسهل امكانيات الاتصال والنقاش وتعميق الافكار داخل صفوفه ، ومما يسهل ، على الخصوص ، امكانيات تنظيمه .

وهناك عاملان آخران يضافان الى سابقيهما :

● الاول أن الطالب ، كاطار في طور التكوين ، يشعر - وخصوصا في البلاد التي تسيطر فيها الامبريالية والرجعية الحليفة على الثروات والطاقات الوطنية - بتناقض حاد بين تطلعاته ومطامحه الشخصية والسياسية والوضعية التي سيواجهها قريبا . حيث سيكون محكوما عليه بأن يصبح دوليا من دواليب جهاز لاحق له في توجيهه ، وبأن يحنسي الرأس أمام الاطر الاعلى ، المحلية أو الاجنبية ،

الساهرة على مصالح لا تلتقي في الغالب مع مصالحه .

● والعامل الثاني ، وهو عامل مميز للحركة الطلابية المغربية ، خصوصا في السنوات الخمس الاخيرة ، هو وجود أغلبية من الطلاب من أصل اجتماعي متوسط أو فقير ، نتيجة لوصول عدد من عناصر الافواج الاولى للاستقلال المقبولة خلال سنوات التعميم الديماغوجي والمرتجل للتعليم .

هؤلاء الافراد الذين استطاعوا الوصول الى الجامعة ، وبأعداد مرتفعة نسبيا ، رغم الحواجز الكثيرة التي اعترضتهم ، والذين يشكلون السواد الاعظم لطلبة المدرسة العليا للاستاذة وغالبية طلاب القطاع التقني .

● هذا بالاضافة الى الازمة الخائقة التي يعيشها التعليم ببلادنا ، والتي تستأثر الجامعة بنصيب هام منها ، كما يجعلها تتأثر وتتجاوب مع تحركات القطاعات « المجاورة » (الثانوي) .

كل هذه العوامل تجعل من المجتمع الطلابي قطاعا يسوده وعي ، أو على الاقل اهتمام سياسي مرتفع ، وتقاليد تنظيمية ونضالية مترسخة . ولهذا ايضا شكلت الحركة الطلابية جناحا متقدما داخل الحركة السياسية والنقابية المغربية ، مرتبط ، على العموم ، بأكثر الاتجاهات جذرية ، في مختلف مراحل التطور السياسي التي عرفتھا بلادنا فيما بعد الاستقلال .

ولهذه العوامل أيضا سلبياتھا الناتجة عن كون



أفراد المجتمع الطلابي وأفواجه لا تعيش فيه إلا مرحلة انتقالية ، والميل ، نظرا للموضعية الخاصة التي يعيشها هذا المجتمع ، الى تبني نظريات وتحليلات ، مطبوعة بالذاتية وعدم الفهم لموضعية القطاعات الجماهيرية الأخرى . مما يفسر عددا من التأرجحات والممارسات الانتهازية لقيادات الحركة الطلابية ، ومن ورائها الجماهير .

مع هذا تبقى الحركة الطلابية ، خصوصا اذا ما توفرت لها القيادة والخطة الصحيحة ، حركة لها ما تسهم به في حركة التحرر وتغيير الهياكل .

### التطورات السياسية للحركة الطلابية المغربية :

يمكن أن نستخلص من كل ما تقدم أن الحديث عن الحركة الطلابية لا يمكنه أن يستكمل كل عناصره إلا اذا كان مرتبطا بالحديث عن علاقاتها بالقوى السياسية في البلاد والتطورات التي عرفت فيها :

أسس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب سنة ١٩٥٦ ، ومنذ تلك الفترة عرف تطورات سياسية هامة عكست تطورات الحركة الوطنية والتقدمية فيما بعد الاستقلال . فقد كانت المنظمة الى سنة ١٩٥٩ متأثرة باتجاه حزب الاستقلال السائد في تلك الفترة ، رغم وجود عناصر من الاجنحة اليسارية لهذا الحزب ، وعناصر من الحزب الشيوعي المغربي ، كانت تشارك أحيانا ، وبنسبة ضئيلة في الأجهزة القيادية ، دون برنامج ومراكز جماهيرية .

وفيما عدا بعض المواقف المعزولة والانتقادات الخجولة (انتقاد الجيش أثناء مؤتمر أزرو وما سببه من

مضاعفات) ، فقد كان الاتجاه السائد هو اتجاه الحركة الوطنية اذاك : التحالف والمهادنة للقطاعية والمساهمة في « بناء الاستقلال » عن طريق المساهمة في الوزارات دون برنامج واضح ودون تعبئة جماهيرية .

وهكذا كانت السمة الغالبة على المنظمة هي الطابع الثقافي والترفيهي الذي غلب عليها وقد ساهمت وضعية المجتمع الطلابي اذاك في هذه الوضعية ، حيث كان عدد الطلاب المغاربة ضئيلا ، أغلبهم فسي الخارج (فجامعة محمد الخامس لم تؤسس الا سنة ١٩٥٨) .

وهكذا كان من الطبيعي أن ينعكس الانقسام الذي حدث في صفوف حزب الاستقلال سنة ١٩٥٩ على الحركة الطلابية ، التي تبنت الاتجاه السياسي للتنظيم الجديد الذي تقوده البورجوازية الصغرى (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) .

وانتقلت الحركة الطلابية ومنظمتها الى وضع جديد :

فبعد ظهور الاعراض الاولى لفشل سياسة التفاوض واقتسام المقاعد الوزارية بمعزل عن الجماهير ، انتقلت الحركة الطلابية ، بعد فترة قصيرة من « مساندة السياسة الرشيدة للحكومة » (حكومة عبد الله ابراهيم) الى فترة تتسم بحدة النضالات وعمق المطالب ، على العموم ، مع بعض التأرجحات وفترات الركود .

وقد أثرت على الحركة الطلابية في مختلف خطوات هذه المرحلة الجديدة عوامل جديدة ، أهمها :

● النمو التدريجي للمجتمع الطلابي وما أحدثه من تعقيد وتكثير للمشاكل .

● تصاعد الازمة العامة للبلاد ومضاعفاتها  
على القطاعات الجماهيرية ، خصوصا فيما  
يتعلق بمشكل التعليم .

● الحملات القمعية التي تعرضت لها المنظمات  
التقدمية .

وكان من الطبيعي أن يحدث هذا التحول ، منذ  
بدايته ، ردود فعل سواء من طرف البورجوازية  
الوطنية ، الذي وقع على حسابها ، أو من طرف  
الحكم .

فقد حاولت البورجوازية الوطنية مواجهة  
الانقسام الذي وقع في صفوف حزبها ، والذي شكل  
في وقته خطوة الى الامام لتجاوز برنامجها، والذي عزلها  
عن الحركة الطلابية ، بانقسام يحاول اعادة التاريخ  
الى الوراء . وهكذا ، فبعد انقسام اليسار عن  
حزب الاستقلال ، انقسم يمين هذا الحزب عن المنظمة  
الطلابية في محاولة يائسة لفرض نفوذه داخل الحركة  
الطلابية ، أو على الأقل تمزيقها واضعافها كحركة  
تقدمية ، على غرار ما فعل داخل الحركة النقابية .  
وبقيت خطة البورجوازية الوطنية نفس الخطة رغم  
فشلها ، وحتى بعد الالتقاء الاخير مع الجناح  
البورجوازي الصغير .

10

أما ردود فعل الحكم فأنها ، مع وحدة هدفها  
الاستراتيجي - خنق الحركة الطلابية - اتسمت بتنوع  
التكتيك . فمن القمع المباشر (محاكمة الاتحاد الوطني  
لطلبة المغرب سنة ١٩٦٣ ، الهجوم على الحي الجامعي  
سنة ١٩٦٦ ، حملات التجنيد الواسعة لمناضلي  
ومسؤولي المنظمة)، الى الحوار المباشر مع قيادات

المنظمة الطلابية واستدراجها الى التراجعات والخانات  
(التي شكل المؤتمر العاشر وافران ١٩٧٠ أبرز  
مثالاتها) ، الى محاولات البلبلة والتقسيم .

لقد تحولت الحركة الطلابية ، وفي وقت جد  
مبكر ، الى حركة جماهيرية ، مطلية وسياسية ،  
وأصبح الاتجاه السائد فيها . ثم المسيطر عليها ،  
هو اتجاه حزب البورجوازية الصغرى المنفصل عن  
حزب البورجوازية الوطنية . ولا تزال هذه السيطرة  
الى الآن . لكن هذا لا يعني كون الحركة الطلابية  
سارت في خط واحد مستقيم - فطبيعة الاتجاه السائد  
المذكور هي التذبذب والتأرجح - ولا أن النضالات التي  
خاضتها ، مع طول نفسها وامكانيات صمودها ، كانت  
تأتي بنتائج في مستوى هذا الصمود وتلك الامكانيات .  
وهذا ما ينم عن وجود أزمة داخل الحركة الطلابية ،  
اتضح معالمها في السنوات الخمس الاخيرة على  
الخصوص ، سنحاول التطرق الى أهم نقاطها .

### أزمة الحركة الطلابية المغربية :

أزمة الحركة الطلابية المغربية أزمة اتجاه وخط،  
تظهر اعراضها في الشعارات التي ترفع والخطة المتبعة  
لتحقيقها والوسائل التثقيفية والتنظيمية التي تعتمد  
عليها .

● لقد كانت خطة الاتحاد الوطني لطلبة المغرب  
رغم ما يجيء في البلاغات وما يصدر عن المؤتمرات -  
تتسم بالقيام بسلسلة من ردود الفعل ازاء سلسلة من  
المشاكل التي تفرضها عليها الظروف ، وأحيانا بصفة  
مفاجئة ، بحيث أصبحت نضالات الحركة الطلابية  
نضالات دفاعية ترمي الى



عدم زيادة تردى وضعية الجامعة والحفاظ على المكاسب القليلة المحققة ، أكثر من تنميتها وتطويرها .  
وهكذا فعوض النضال من أجل تجاوز الازمة ، كانت النضالات تكتفي بمواجهة الاعراض المتواليّة للازمة . كما أن زمام المبادرة يبقى خارج ارادة الحركة . وكان لهذه الخطة تأثيرها على نتائج النضالات التي كانت تنتهي الى حلول جزئية تشكل في الغالب خطوات الى الوراء .

ولنأخذ على سبيل المثل مشكل المدرسة العليا للاساتذة : فرغم البرامج اللفظية والكتابية للحركة الطلابية ومنظمتها ، حيث يطرح مشكل اصلاح هياكل المدرسة وتوضيح الدور المنوط بها واعتبارها كأداة أساسية لتكوين الاطر التعليمية ، فان النضالات التي خاضتها الحركة الطلابية ، بكل الطاقات الهائلة المتوفرة لدى جماهير هذه المدرسة ، كانت تأتي أساسا كرد فعل ضد ظهور بعض المضاعفات التي تسببها أزمة هذه المدرسة : كمشكل السنة الاحتياطية أو طرد أو توقيف عدد من الطلاب لهذا السبب أو ذاك ، وبما أن المشاكل المذكورة كانت هي السبب الاساسي لانطلاق مختلف الحركات النضالية ، فان هذه الحركات كانت تتجه أساسا للتركيز على حلها ، بينما يبقى المشكل الاساسي مطروحا ليقول مشاكل أخرى .

وهكذا جاء قرار افران ١٩٧٠ بحل المشاكل الجزئية للافواج الموجودة حاليا بالمدرسة واقفالها في وجه الافواج القادمة - مع الدور الذي لعبته بعض الاتجاهات وبعض الشخصيات - كنتيجة طبيعية لهذا المسلسل .

وهكذا كانت الخطة السائدة خطة دفاعية انتظرية تضع فيها جهود الجماهير الطلابية وطاقاتها من أجل نتائج أدنى بكثير من مستوى الجهود والطاقات .

ولهذه الخطة مضاعفاتها الايديولوجية والتنظيمية :

● ففي الميدان الايديولوجي كان الاتجاه هو اتجاه العفوية والانعزالية ، حيث يعتبر التثقيف الايديولوجي نوعا من الترف . ويقتصر هذا النشاط على تسطير المشاكل النقابية في بلاغات واستعمال الشعارات « والامجاد » السياسية أساسا كبضاعة للاستهلاك والدعاية الانتخابية ، مع تلافي كل نقاش سياسي وايديولوجي جماهيري ومنظم .

وبمقابل هذا الاتجاه كان هنالك اتجاه آخر يعطي 11 للنشاط التثقيفي والايديولوجي والسياسي نوعا من الاهمية ، وساهم بنصيب له أهميته في هذا النشاط لكن هذا الاتجاه نظرا لمواقفه وممارساته كان يستعمل هذا النشاط كوسيلة لتبرير مواقفه وتغطية تراجعاته . مروجاً بذلك مفاهيم محرفة ونظريات مشوهة .

وهكذا عجز هذان الاتجاهان عن تزويد الحركة الطلابية بالبرنامج والمفاهيم السياسية والايديولوجية التي تمكنها من فهم دورها والاضطلاع به كحركة جماهيرية تقدمية وجذرية .

ويكفي أن نأخذ كمثال على ذلك مهام النضال الثقافي للحركة الطلابية : فالجامعة المغربية تشكل إحدى المرافق الأساسية للتغلغل الثقافي الامبريالي ولترويج الثقافة الاقطاعية ، سواء من حيث نظام أو محتوى الدراسة بها أو علاقاتها مع البعثات والاطر

ان كل عمل من أجل مواجهة هذا المد الثقافي الامبريالي الرجعي لابد أن تسهم فيه الحركة الطلابية بنصيبها الوافر •

فماذا تم انجازه عمليا في هذا الميدان غير التصريحات والتنديدات ؟ اللهم الا اذا استثنينا المحاولة الجينية للجامعة « الموازية » التي رافقت حركة يناير - فبراير ١٩٧١ واجهت باجهاضها •

● أما في الميدان التنظيمي فتجدر الإشارة الى أن تنظيمات الاتحاد الوطني لطلبة المغرب تطورت بموازاة تطور الحركة الطلابية ونضالاتها • فمن التنظيم على صعيد الفروع ، الذي ساد في السنوات الاولى من تاريخ المنظمة حيث كان المجتمع الطلابي جد متقلص ، الى تنظيم التعاضديات على صعيد الكليات ، الذي فرضه نمو هذا المجتمع وتعدد الطلاب والمشاكل في مختلف الكليات • لكن الجماهير الطلابية ، في مراحل عرفت تفاقم المشاكل وتصاعد النضالات ، سواء في سنوات ١٩٦٥ و ١٩٦٦ أو في ١٩٧٠ و ١٩٧١ ، ابتكرت صيغا للتنظيم أكثر مرونة وذات امكانيات هامة في التحرك وتأطير العناصر الديناميكية • وبينت التجارب أن هذه التنظيمات ، وإن لم تكن « رسمية » وإن لم توضع لها الفصول والفقرات (إذا ما استثنينا الاشارات العابرة) ، كانت تقوم بدور المحرك الاساسي ، بل والوحيد أحيانا ، في ظروف تصاعد النضال • بينما تقوم « التنظيمات القيادية » بمجرد استعادتها لزام الامور باعادة المياه الى مجاريها ، أو بالاحرى الى مستنقعات الركود

وهكذا اتسم تنظيم الحركة الطلابية غالبا بطابع جامد وببيروقراطي • فالقرارات تتخذ من أعلى لتنزل على الجماهير أو تفرض عليها بشتى الاشكال • والتجمعات العامة التي تقدم كصيغة ديمقراطية للتنظيم أصبحت ، مع تكاثر عدد الطلاب واختلاف مستويات الوعي والتنظيم من كلية لآخرى ، مجرد اطار عائم يمكن من مباركة قرارات الهيئات القيادية مهما كانت قيمتها •

ولعل أبرز مثال على ذلك هو الطريقة التي استطاعت اللجنة التنفيذية أن تجهض بها اضرابات يناير - فبراير ١٩٧١ بقرار فوقى رغم انعقاد تجمع عام « على الصعيد الجامعي » ، لكون أن هذا التجمع لم يستطع اتخاذ قرار حاسم •

ان أزمة الخط العام للحركة الطلابية المغربية ، التي حاولنا القاء الاضواء على مختلف مظاهرها ، تعكس ، في نهاية التحليل ، أزمة الخط العام للاتجاهات السياسية التي تسود داخلها • هذا الخط المتسم بالانتظارية وعدم القدرة ، أو الاحجام عن اطلاق مبادرات وطاقات الجماهير ، والسقوط في مستنقع الاصلاحية ، خوفا من المواجهة الحاسمة لجذور الازمة والمسؤولين عنها والمستفيدين منها • وهكذا ، فهذه الخطة التي فشلت في مواجهة الازمة العامة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلاد ، لم يكن من شأنها الا أن تعرف نفس الفشل في مواجهة إحدى مظاهر هذه الازمة ، أزمة التعليم والجامعة •



## أزمة الجامعة المغربية ومهام الحركة الطلابية :

لا حاجة بنا في هذا المقال الى تحليل دقيق لازمة الجامعة المغربية الا أنه بات من الواضح أن هذه الازمة مرتبطة أساسا بالمأزق الذي وصلت اليه السياسة المتبعة حاليا في ميدان تكوين الاطر .

هذه السياسة ترمي الى جعل التعليم في جميع مراحله ، وخصوصا في المرحلة الجامعية ، تعليميا نخبويا يروج ثقافة نخبوية أساسها المفاهيم والمناهج الأساسية للأيديولوجية البورجوازية الغربية ، أيديولوجية الامبريالية والاستعمار الجديد . فأزمة الجامعة اذا أزمة هيكلية لا يمكن تصور أي حل جذري لها في اطار منعزل وبواسطة حلول جزئية . وبالتالي، فالنضال من أجل الخروج من الازمة لا يمكن أن يكون ناجعا الا اذا اتجه الى مواجهة عمق المشاكل ، أي طرح المشاكل الهيكلية والنضال من أجل حلها ، عوض الاكتفاء بردود فعل محدودة ازاء الاعراض والمضاعفات التي تحدثها هذه الازمة على صعيد الحياة اليومية للجامعة أو لبعض قطاعاتها ، هذه الاعراض والمضاعفات التي لا تكاد تنمحي حتى تظهر في محلها أعراض أخرى ناجمة عن نفس العلة ...

الا ان مواجهة المشاكل الهيكلية لا يتأتى الا بتوفر عدة شروط أساسية سواء داخل الحركة الطلابية أو في صفوف الحركة التقدمية على العموم .

ففيما يخص الحركة الطلابية نفسها يقتضي ذلك تغيير خطة العمل .

فإذا كان النضال ضد الاعراض والمضاعفات اليومية لمشاكل التعليم يدفع حتما بالحركة الطلابية

الى نوع من الانتظارية تتخللها ردود فعل مفروضة ازاء أوضاع مفاجئة وتجعل بالتالي زمام المبادرة يفلت من أيديها وهذا ما يفسر كون الحركة الطلابية اضطرت للدخول في كثير من النضالات دون تهية جدي ودون برنامج مدقق ، فان طرح المشاكل الهيكلية يعني الانتقال الى خطة جديدة أساسها التجنيد الدائم والاختذ بزمام المبادرة في المعارك ، بحيث تكون نقطة الانطلاق في أية حركة استعدادات الجماهير الطلابية، ودرجة استيعابها للمشاكل وتحليلها للظروف المحيطة .

وإذا كانت خطة رد الفعل ضد المشاكل الطارئة تدفع بطبيعتها الى عدم تفهم دور التثقيف والتوعية السياسية والأيديولوجية ، فان الخطة الأخرى تحتّم تقوية هذا النشاط وتعميقه ووضع برنامج واضح لانجازه ، كعنصر أساسي لضمان قوة الحركة الطلابية وجماهيرية تحركاتها وتحسينها ضد الانحرافات والانتكاسات .

13

وهذه الشروط تسوقنا حتما الى طرح المشكل التنظيمي :

فسياسة رد الفعل تعني عدم تجنيد الجماهير الواسعة وتركيز وسائل توجيهها بين أيدي مجموعة قليلة من العناصر التي تشكل « الأجهزة القيادية » للحركة ولمنظمتها ، أما مواجهة المشاكل الهيكلية وأخذ زمام المبادرة في طرحها فيتطلب تبني صيغ تنظيمية أكثر جماهيرية وأكثر ديمقراطية وأكثر فعالية، تمكن من الاستفادة من طاقات وتجارب أوسع الجماهير الطلابية ، صيغا تتجاوز واقع التأرجح بين القرارات

البيروقراطية الفوقية « للاجهزة القيادية » والجو  
المائع والفلكوري أحيانا لبعض التجمعات العامة .

ولقد اثبتت التجربة الطويلة للحركة الطلابية أن  
خطة الدفاع ورد الفعل المطبقة منذ عدة سنوات لم  
تمكن الطلاب من تنمية مكاسبهم ومن تحقيق خطوات  
الى الامام على طريق اصلاح الجامعة ، بل جعلتهم  
دوما مضطرين لاستنفاد طاقاتهم النضالية في الدفاع  
عن المكاسب القديمة ، بل وأحيانا لفقدان الكثير منها  
(كاقفال معهد السوسولوجيا و م . ع . ٠ أ مثلاً) .

يتبين على اثر هذا أن مشكل الجامعة لا يكمن  
في تغيير شكل الامتحان لهذه المادة أو تلك ، أو تغيير  
هذا التدبير الاداري الجزئي بهذه الكلية أو ذاك  
المعهد ، بل هو مشكل محو الطابع الطبقي الذي يتسم  
به التعليم الجامعي والمحتوي الامبريالي - الرجعي  
للتقافة الجامعية والتسيير والتوجيه اللاديمقراطي  
لهياكلها وأجهزتها .

وهذه مشاكل وطنية في عمقها لا يمكن للحركة  
الطلابية وحدها أن تفرض حلها .

وبالتالي فإن على الحركة الطلابية من جهة ، والاطراف  
الآخرى للحركة التقدمية أن تطرح الصيغ العملية  
الحاسمة لدمج نضالات الجماهير الطلابية بنضالات  
القطاعات الجماهيرية الأخرى ، عوض ما فعلته  
قياداتها الى الآن من انعزالها عن هذه وتسليطها على  
تلك . ولا شك أن هذا مرتبط بالخروج من الازمة  
الذاتية للحركة التقدمية ، هذه الازمة التي أدت اليها  
الخطط والممارسات التي سادت داخلها الى الآن .

هذه في نظرنا هي الاسس التي ينبغي أن تقوم  
عليها حركة طلابية تقدمية مغربية تساهم بجدية في  
معركة التحرر الوطني الاقتصادي والثقافي والسياسي ،  
وهذه هي الاسس التي افتقدتها الحركة الطلابية  
المغربية الى الآن .

### خلاصة : بوادر تجاوز الازمة :

هل تتوفر الظروف حاليا لتحقيق هذه الاسس  
وتجاوز هذه الازمة ؟

ان تصاعد الطاقات النضالية للجماهير الكادحة  
في بلادنا ، رغم عفويتها والنتائج الضئيلة التي  
حققتها نظرا لانعدام الخط والقيادة التقدميين  
الصحيحين ، مضافة الى التجارب المرة للحركة  
الطلابية ، كجزء من الحركة الجماهيرية ، نتيجة لنفس  
الخط ونفس القيادة ، قد بلورت داخل جماهير الطلاب  
ارادة لتجاوز الازمة والخروج من مأزق الانتظارية  
والتراجع ، عبرت عنها الجماهير الطلابية في السنوات  
الثلاث الاخيرة على الخصوص في أكثر من مناسبة .

ومع أن الممارسات الانتهازية والانتظارية  
والتيارات الممثلة لها لا زالت تجد معاقل تحتمي بها  
داخل القطاع الطلابي ، وفي قطاعات أخرى منظمة ،  
فان المد الجماهيري الذي ظهر أخيرا ولا زال يرتفع ،  
مباشرا بدفع الحركة الطلابية والمنظمة المحسدة لها -  
الاتحاد الوطني لطلبة المغرب - خطوة الى الامام في  
النهج التقدمي والخطوة التحررية المعادية للامبريالية  
التي أسهم الطلاب المغاربة عن طريق اتحادهم الوطني  
بنصيب تبقى حصيلته ، رغم السلبات ، جد ايجابية  
وتسجل بمداد الفخر في التاريخ النضالي لجماهير  
شعبنا .



# قضايا عربية

الصراع الطبقي في مصر من سنة 1945 الي سنة  
1968 - محمود حسين

صدر هذا المقال بقلم عبد الكريم الظفري في مجلة « انفاس » بالفرنسية - عدد ١٨ (فاتح ماي ١٩٧٠)  
وقد ارتأينا ترجمة هذا المقال ونشره بالعربية نظرا لاهمية الكتاب الذي يتناوله بالعرض ، خصوصا  
وأن الكتاب غير موجود بالعربية ولا زال قيد الترجمة في الشرق . ونحن آسفون لاضطرارنا الى نشر  
المقال في حلقتين .  
علي الحمراوي

15

على العكس كانت جميع التناقضات الموضوعية  
تستدعي حلا ابرولتاريا لازمة الطريق الراسمالي .  
وما كان النظام الناصري ليفرض نفسه في خضم  
تناقضات المجتمع المصري الا بفعل ظرف خاص .  
وقد جسد النظام الناصري الحل البرجوازي الوحيد  
لازمة التحول الاقتصادي والسياسي أمام حركة  
الجماهير المتصاعدة .  
ان هذه الخلاصة التي يتوصل اليها محمود  
حسين من سياق تحليل ضافي وجدي للتركيب الطبقي  
بعد الحرب العالمية الثانية في مصر ، لتدعونا للعودة  
الى طرح مسألة البنيات الفوقية الايديولوجية  
والسياسية للمجتمع (وهي مسألة ذات مدى عام)  
قصد تعميق صيرورة ازمة التحول من الاقطاعية  
الى الرأسمالية .

غداة الحرب العالمية الثانية ، كانت الطبقة  
العاملة المصرية مؤهلة موضوعيا للنهوض بدورها  
الطليعي نظرا لقوتها العددية المرتفعة نسبيا ،  
بالقياس الى حجم بقية الطبقات الكادحة ، ونظرا  
لعرقلة تقاليدهما في النضال السياسي آنذاك . ففي  
نفس الحقبة التاريخية استطاعت البرولتاريا الصينية  
رغم ضالتها العددية توحيد نضال جميع  
طبقات الشعب الصيني والاستيلاء على السلطة  
المركزية .

لم تكن هناك اذن سنة ١٩٥٠ أية ضرورة  
موضوعية لفرض الطريق الرأسمالي على مصر ، بل

١ صدر هذا الكتاب في دار ماسبرو للنشر -

- باريس - اواخر عام ١٩٦٩ .

إذا كان كبار الملاكين العقاريين يشكلون سنة ١٩٤٥ الركيزة الأساسية للطبقة الحاكمة في مصر ، فإن العلاقات السائدة لم تكن مع ذلك علاقات رأسمالية محضة . فالسيطرة الامبريالية من جهة ومصالح طبقة كبار الملاكين من جهة ثانية كانت تحول دون تطور قوى الانتاج باتجاه تكريس اسلوب الانتاج الرأسمالي وكانت بالتالي تطمس امكانية دمج الجماهير الواسعة المحرومة في حلبة الاستغلال الرأسمالي على نحو متصاعد .

ان عدم انبثاق برجوازية متوسطة مصرية جعل البلاد تتخصص في الزراعة الموجهة للتصدير ، وحال دون توسع الميكانيك في الانتاج . وقد ساعد هذا على استمرار بنيات فوقية ايدولوجية وسياسية من نوع شبه رأسمالية ،

16

وضمنت تلك البنيات الفوقية بدورها استمرار الهيمنة البريطانية وامتيازات الطبقات المستفيدة من فتاة مصالح الامبريالية . ذلك أن المصالح الامبريالية بالذات هي التي حددت اطار النشاطات الاقتصادية الذي لم يبق للبرجوازية المصرية الا أن تدور داخله . وبعبارة أخرى لم يكن تراكم الثروات في هذا الاطار يلعب دور التراكم الرأسمالي البدائي : فهو دون اعطاء اية استثمارات منتجة ، ظل يخدم استمرار امتيازات كبار الملاكين العقاريين بما في ذلك الخمول ونفقات الابهة ونمط العيش الارسطقراطي الخ . . .

وفوق ذلك فإن الشرط الحيوي لتغيير صيرورة الانتاج نفسها ، أي الفصل التام بين العمل ومجموع

وسائل العمل أو بين العمل ووسائله في الانتاج ، ظل منعزلا ، ذلك أن العمال في ذلك العهد ظلوا غالبا يستعملون أدوات فردية في أراضي كبار الملاكين رغم تدهور العلاقات الاقطاعية المحضة .

لم يكن هناك تكريس لعلاقة ثابتة بين من يملكون الرأسمال ومن يبيعون قوة العمل ، فلم يكن هناك الا ملاكون كبار في طريق التحول الرأسمالي من جهة ، وجماهير عريضة محرومة في طريق التحول الى برولتاريا من جهة ثانية .

ونجد نفس هذا الطمس لصيرورة تطوّر الرأسمال على مستوى فئة « رجال الاعمال » أيضا . فالبرجوازية الكبرى ، مصرية كانت أم «متمصرة» ، لم تكن تحتل الا مواقع مالية مكملّة للشبكة المالية الأوروبية . ومن أجل صيانة ارباحها الضخمة والسريعة ، اضطرت هذه البرجوازية الى الانغماس في ممارسة السمسرة والنشاطات الغير المنتجة كالابنك والتصدير والاستيراد وشركات التأمين ومقاولات البناء . . . وحافزها في ذلك هو عجزها عن التصدي لمتطلبات السيطرة الاجنبية وكذا نشأتها على أسس احتكارية حددتها كبريات الشركات الاجنبية وجعلتها تماوجات السوق العالمية ضعيفة الاستقرار .

أما البرجوازية المتوسطة فقير مائلة بتاتاً للتجديد ، وذلك لان أصلها أساسا فلاحى ، وهي مفتقرة للروح الرأسمالية وفكر « الاعمال » . ولذا ظلت متضامنة مع الهياكل الطبقيّة القائمة خصوصا وأنها تتكون من أغلبية فلاحين اغنياء متشبهتين باشكال الانتاج العتيقة وانها ضعيفة التواجد في المراكز الحضرية . ومع ذلك لم تنعدم التناقضات بين



أكثر فئات البرجوازية المتوسطة تفتحا من جهة وبين المصالح الأجنبية والمحلية المسيطرة على اقتصاد البلاد من جهة ثانية . وبما أنه لم تكن بيد هذه الفئات تلك الأجهزة المالية والسياسية التي تتمتع بها الطبقة السائدة ، فإن هذه الفئات صارت بالتالي ترفض الاكتفاء بالمقاعد الجانبية وتطمح الى التغييرات الادارية والسياسية الضرورية للدفع- باقتصاد البلاد الى النمو بديناميكية اكبر .

« هكذا صارت هذه الفئات بدافع من مصالحها تعيد النظر في نظام تشله أكثر فأكثر ارتباطاته بالامبريالية البريطانية وركزتها المحلية طبقة كبار الملاكين المحافظين اقتصاديا ، تلك الارتباطات التي كان زمامها خارج متناول البرجوازية المتوسطة كلية . وفي مواجهة تلك المصالح الامبريالية والمحلية صارت البرجوازية المتوسطة ترغب في اصلاحات سياسية واقتصادية وادارية للنظام القائم ، انطلاقا من اصلاح زراعي يحد من سطوة طبقة كبار الملاكين ويؤدي الى توسيع السوق الداخلية .

« ومع ذلك لا بد من شرط حيوي وحاسم وهو أن تطرأ هذه الاصلاحات خارج أية مبادرة من جانب الجماهير المحرومة ، أي بطريقة استبدادية تضمن في نفس الوقت كبت حركة الجماهير وتطبيق الاصلاحات الجديدة بحيث لا تؤدي التدابير الموجهة ضد ملكية طبقات كبار الملاكين الى التشجيع السياسي او التقوية الايديولوجية لروح الثورة عند الجماهير الشعبية .

« وبالمقارنة مع الطبقات السالفة الذكر ، المنسجمة نسبيا ، فإن البرجوازية الصغيرة المصرية تتوفر على

انسجام أضعف وتعيش وضعية تمزق بين التأثير الايديولوجي المتناقض من جانب الطبقات الاستغلالية ومن جانب الطبقات المعرضة للاستغلال المباشر . ويرى محمود حسين أن البرجوازية الصغيرة تتكون من كل الذين « يملكون رأسمال صغير أو قطعة ارض صغيرة او تكونا مهنيا مختصا ومستوى ثقافيا معينا ، يسمح لهم بكسب عيشهم من مجهود عملهم ومن ثمة وسيلة عملهم المالية او التقنية أو الثقافية ، دون ان يحتاجوا الى بيع قوة عملهم للغير ودون شراء قوة عمل الغير ، اللهم بشكل ثانوي » .

« وبصفتها طبقة تتمتع ببعض الامتيازات بالنسبة للطبقات المحرومة ، فبوسعها أن تطمح الى استغلال آخرين (اي أنها تحمل بذور ميولات رأسمالية) وبصفتها طبقة نشيطة تعيش من مردود عملها ، ولأن عملها هذا فردي شديد التشقت وخاضع للضغط الدائم من جانب الطبقات السائدة ، ولأنها عاجزة عن الدفاع عن نفسها أمام سطوة تلك الطبقات ، فإن البرجوازية الصغيرة تتقرب من الطبقات المحرومة » .

أما عن التمايزات داخل هذه الطبقة ، فهناك أولا خط اختلاف بين البرجوازية الصغرى القروية العائمة في جو ايديولوجي ضعيف القابلية للتغيير من جهة ، والبرجوازية الصغرى الحضرية التي تتمتع بإمكانيات اوسع للصعود الاجتماعي والتفتح الرأسمالي ،

وهناك ثانيا خط اختلاف بين الفئات التي تمارس العمل اليدوي كالفلاحين المتوسطين من جهة والفئات التي تمارس العمل الثقافي كاهل المهن

الليبرالية والتقنيين وحتى الموظفين والمستخدمين من  
جهة ثانية .

وهذه الظواهر المتناقضة تلقي ديناميكيا لتجعل  
من البرجوازية الصغرى مصدر تخوف وعدم اطمئنان  
بالنسبة للطبقات السائدة .

ويختلف الامر بالنسبة لنبذة البرجوازية  
الصغرى . ذلك أن هذه الفئة تأتي لها أن تحتل مواقع  
دقيقة بفعل اختصاصاتها وبفضل التكوين الطبقي الذي  
تلقتة خلال خدمتها في قلب أجهزة الاستغلال والقمع  
(كالضباط مثلا) . وهذه المواقع تجعل تلك الفئة  
النبوية مؤهلة ايدولوجيا وتقنيا لترتفع بنفسها  
الى مراكز القيادة ولتندمج مع الطبقة الرأسمالية ،  
لو تم تكسير عوائق التحول . وفي آخر  
التحليل نجد أن تلك الرغبة الجامحة في الصعود  
الاجتماعي هي التي تجعل النخبة المعنية شديدة العداء تجاه  
كل ما يضيق آفاقها ، من نفوذ اجنبي وأرسطقراطية  
عقارية وموظفين سامين . لكن طموحات الصعود  
تعطي بالضرورة الميل لمعاداة الجماهير ، وتفضيل  
اجراء كل التغييرات دون أن تتأثر للجماهير الشعبية  
امكانية الاستفادة منها فوق ما تحدد النخبة .

أما الطلبة فمسألتهم خاصة إذ لا يحتلون  
موقعا محددا وثابتا في الهيكل الاجتماعي واذ يكادون  
يحتكرون النشاط الثقافي وسط الطبقات الشعبية .

### البرلتاريا والجماهير الشبه ابرلتارية

عذاة الحرب العالمية الكبرى لم تكن البرلتاريا  
الصناعية تمثل الا نسبة ٣٪ من مجموع السكان  
و ١٠٪ من السكان الحضريين في مصر . غير أن

البرلتاريا المصرية كانت تتوفر على تقاليد غنية في  
النضال ضد الامبريالية وضد الرأسمالية . فقد  
مارست منذ سنة ١٩٢٤ اسلوب نضال جذري وغير  
معروف من ذي قبل وهو أسلوب احتلال المصانع  
(كما وقع في طوراح والاسكندرية وزكازيك) .  
ان احتكاك البرلتاريا بوسائل الانتاج الميكانيكية ،  
وما ينتج عنه من طلاق تام مع الملكية الخصوصية  
لوسائل الانتاج ، يجعل منها عدوة لكل أشكال  
الاستغلال ويجعلها قادرة أيضا على تجاوز الفردية  
التي تلقنها الثقافة السائدة . ولذا تعطي البرلتاريا  
الاولوية لمصالح الجماعة على مصلحة الفرد ، وتتحدى  
بروح التضامن الفعال وتعرف كيف تستوعب تجربة  
الغير .

أما الجماهير الشبه ابرلتارية فلم تتحرر جذريا  
من شبكة القيم الاقطاعية ، وخاصة في البادية .  
وتعبر وضعية هذه الطبقات في القطب الذي تحتله  
في المجتمع عن نفس ما تعبر عنه وضعية الطبقات  
المالكة في القطب الآخر : ان في كلتا الحالتين وضعية  
تحول مكبوت ، كما يصور ذلك محمود حسين بحذق  
كبير .

ورغم أن الطبقات الشبه ابرلتارية تحمل طاقات  
ثورية جارفة ، فانها لم تصل بعد حد القطيعة النهائية  
في جميع أشكال الاستغلال الرأسمالي . « بل هي على  
العكس قابلة لمثل هذا الاستغلال . ونظام التبعية  
والتحول المكبوت هو الذي احالها على التشرد ،  
وليست هي التي نازعته في الاصل » .

وتكمن نقطة الضعف الاساسية عند هذه الجماهير  
الشبه ابرلتاريا في عدم قابليتها للتنظيم . ذلك أن



شكل عيش هذه الطبقات ذاته هو الذي يجعلها متشتتة وموزعة الى افراد ، وجماعات عائلية وعشائر وغيرها ، (كما هو حال الفلاحين الصغار ، والعمال الزراعيين ، والعمال بدون مهنة وخدم العائلات ، والبائعين المتجولين ، أي ما يمثل الاغلبية المطلقة من السكان في البادية كما في المدينة) .

ورغم أن حركة الانتفاضات التي سجلتها هذه الطبقات سنة ١٩٥٢ اتسمت بالعنف الشديد والتهديم، فانها ظلت محكوما عليها بالفشل نظرا لحدودها كالانعزال ، والتفاوت الزمني . وقد أتاح ذلك للطبقات الحاكمة فرصة خنق تلك الانتفاضات بالقمع والديماغوجية معا ، دون أن تحظى بحركة تضامنية على الصعيد الوطني .

والواقع أن هذه الجماهير لا يسعها أن تغدو خطرا جذريا على الطبقات السائدة ، الا بقدر ما تعرف كيف تلتقي مع الحركة العمالية الصناعية وتدعمها .

### الافلاس السياسي للطبقة السائدة

انهكت الحرب العالمية قوى الامبريالية الفرنسية والبريطانية وتفاقت أزمة الرأسمالية العالمية من جراء تقلص السوق العالمية وبفعل تصاعد المدالثوري لشعوب المستعمرات . ولم تلبث هذه الظواهر أن صارت لها تأثيرات هامة على العالم العربي .

وفي مصر ، بدأت تنمو بسرعة وجنبا الى جنب مع الحركة الوطنية المناهضة للنفوذ الامبريالي ، حركة ديمقراطية معادية للطبقات المحلية السائدة التي اتخذت تبعيتها للامبريالية شكل الخيانة العظمى للوطن بكل وضوح ابان حرب فلسطين الاولى .

وازاء تصاعد الحركة الجماهيرية ، انفضح عجز الطبقات الحاكمة عن ايجاد مخرج من الازمة . وبذات الوقت صارت هذه الطبقات تنقسم الى عدد من التيارات بفعل افتقارها الى التنظيم وغياب أحزاب سياسية خاصة بها وقادرة على وضع رؤية سياسية منسجمة . ومن بين تلك التيارات :

— الاتجاه الارسطراطي المقرب من البلاط .

— الاتجاه الوطني الذي يطالب بتوسيع مجالات الاقتصاد و ب « تمصير » مرافق الدولة ، (ويعكس حزب الوفد هذا الاتجاه تقريبا .

— الاتجاه التجديدي (العصري) وهو أكثر من الاتجاهين السابقين نشاطا ، فبينما يراوغ الاتجاه الثاني بهدف الاستفادة من الحركة الوطنية واستغلالها يعلن الاتجاه الاخير علانية معاداته للوطنية والديمقراطية ويرفض أن يقبل ادنى مساس بامتيازاته وبارتباطاته مع الاحتكارات الامبريالية ، وان كان على استعداد للتضحية ببعض من مصالح كبار الملاكين العقاريين . كما يرفض هذا الاتجاه تصور التنمية الصناعية الا ضمن التبعية الكاملة للامبريالية على الصعيد السياسي والتقني والمالي .

اما حزب الوفد فقد امخه أن يتحلى زمنا بلقب « حزب الامة » بينما لم يكن في الواقع الا حلقة من شبكة الاعدادات الموجهة لتضليل الحركة الثورية عن الطريق الصحيح . وعندما صعد الوفد الى السلطة تبدد الغموض الذي كان ينشره التفكك السياسي . ذلك أن الوفد لم يلبث أن انفضح عجزه عن التنازل لاتخاذ ادنى التدابير التي كانت الوضعية السياسية

القائمة تستدعيها (جلاء الانجليز ، اصلاح الزراعي ، اعادة النظر في امتيازات الارسطقراطية) ، تلك التدابير التي كانت وحدها كفيلة بطمأنة الجماهير . وفي غمار الازمة التي صار سجيناً لها وعجل بانفجارها ، سقط الوفد بعد حين مع الارسطقراطية في الداهية تحسب الضربات الاولى للحركة الجماهيرية .

وفي القطب الآخر من المجتمع المصري ، افتقرت الطبقات الكادحة من جهتها الى البنات السياسية والتنظيمية الكفيلة بتمثيلها عن حق ، والقادرة على الارتفاع بمدها الثوي واعطائه كل الابعاد التي كانت تخولها الوضعية السياسية .

### تصاعد الحركة الجماهيرية

تميزت الفترة الممتدة من سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٤٧ بالتقاء الحركة العمالية بالحركة الطلابية : ففي سنة ١٩٤٦ بلغت اوجها المظاهرات الجماهيرية والاضرابات المصحوبة باحتلال المصانع وكذا الاشكال الفردية المباشرة للعنف كالعمليات الارهابية . ولا شك ان اهم حدث سياسي عرفته هذه المرحلة الاولى هو تأسيس اللجنة الوطنية للعمال والطلبة في شهر فبراير ١٩٤٦ اي بعد ايام قلائل من قيام الشرطة بفتح قنطرة عباس في الوقت الذي بدأت فيها مظاهرة طلابية تطالب بالجلاء ، خلف الحادث كثيرا من الضحايا وفي ٢١ فبراير نظمت اللجنة مظاهرة كبرى ودعت الى الاضراب العام . وانفجر حنق الطبقة الحاكمة . فالت مظاهرة القاهرة الى مجزرة شنيعة استقبل فيها الجنود البريطانيون المتظاهرين بالرشاشات في ساحة الاسماعيلية ، وعمت البلاد موجة عارمة من القمع ان صار الاعتقال يشمل آلاف

المناضلين العمال والطلاب ، وتعرضت اللجنة الوطنية للتقويض . ومنذئذ دخلت مظاهرة القاهرة في الحركة العالمية المعادية للامبريالية التي صارت منذ سنة ١٩٥٠ تحيي ذكراها في ٢١ فبراير من كل سنة . وبعد فترة ظلت فيها الحركة الوطنية فاقدة الاتجاه من جراء القمع ، بدأت تحاول تنظيم نفسها من جديد ، عندما اندلعت حرب فلسطين الاولى واضعة في يد القصر والانجليز فرصة لتمسك بزمام المبادرة من جديد .

في هذه المرحلة من التحليل تشتد صرامة الكاتب (والدواعي واضحة) .

لقد كانت دولة اسرائيل وما تزال عدوا حقيقيا للشعب المصري والشعوب العربية عامة . وعلى عكس ما يدعي البعض ، فان الامبريالية والملك فاروق لم يكونا في حاجة الى « اختلاق » عدو آخر (اسرائيل) لتحويل سخط الشعب عليهما الى اتجاه آخر . حقا ان الامبريالية البريطانية عملت على توجيه كل طاقات الشعوب العربية ضد دولة اسرائيل ، في محاولة لتضليل الحركة الجماهيرية التي كانت تسدد سهامها الرئيسية الى العدو الانجليزي ، حقا ان الملك فاروق وجدها فرصة ثمينة لركوب قيادة الحركة الوطنية في محاولة لاستعادة نفوذه المنهار ، ومع ذلك فان دولة اسرائيل كانت عدوا فعليا وحقيقيا ، وهكذا كان يراها الشعب المصري .

لكن توجيه الغضب الشعبي في مصب حرب كلاسيكية بين دول ، وبالتالي محو الشعب الفلسطيني ومحو الشعوب العربية الاخرى في آن معا ، كان يهدف منه الامبرياليون والملك فاروق الى دفع الشعب



المصري لحرب ليست حربه الخاصة ، بل ، وهذا أدهى في حرب تخنق كفاحه الخاص : الكفاح الشعبي ضد الامبريالية البريطانية والتضامن النضالي في القواعد بين الشعب المصري والشعب الفلسطيني .

وقد كانت لهزيمة الجيش المصري المرتقبة ثلاث نتائج هامة :

١ - لم يكن بوسع الجماهير المصرية أن تستقصي باللموس الاسباب الطبقة للهزيمة ، وهذا الذي اوحى لها باحساس داخلي بالضعف الذاتي . وكان هذا عنصرا حاسما في تكريس السيطرة الاجنبية والرجعية .

٢ - توفرت الظروف المواتية لتبلور قوة نخبة برجوازية في قلب الجيش الذي وضعته الحرب في الواجهة الامامية . ويتعلق الامر « بالضباط الاحرار » الذين تلتقي نظرتهم السياسية مع مطامح العصريين أو التجديديين كما سنرى » .

٣ - وفي المدى القصير ، ادت الهزيمة الى توحيد كل قوى الحركة الوطنية للجماهير ضد الاعداء الداخليين الذين اعتبرتهم مسؤولين عن الهزيمة .

ففي هذه الفترة بدأت جماعات حرب العصابات تنظم نفسها ، وصارت المصالح البريطانية تتعرض للنسف . كما شهدت هذه الفترة اضرابات عمالية وانتفاضات فلاحية . وأخيرا كان حريق القاهرة الذي يعتبره محمود حسين حدثا شديدا لاهمية :

- لانه اولا يعبر بعنفه عن الحاجة الموضوعية عند الجماهير الحضرية المحرومة للمشاركة مباشرة في الحركة الوطنية في الوقت الذي تجاوزت جميع الاطر التقليدية لتلك الحركة من وفديين ووطنيين وشيوعيين .

- لانه ثانيا ، وبغض النظر عن السخط المفرط والحتمي على كل ما هو اجنبي ، كان رميا الى الجحيم بالمراقص وقاعات السينما الفخمة ، والمتاجر الكبرى والابناك التي كان يملكها جميعا اما البريطانيون واما يهود يخالون علانية بالنصر الصهيوني ، واما اصحاب الملايير المحليون ، وقد كان الحريق اذن ضربة جماهيرية خالصة ضد اعداء الشعب .

وكان للطابع الانتفاضي لحريق القاهرة وللتصاعد الدائم لحركة الجماهير خلال هذه الفترة نتيجة غير منتظرة : لقد صارت بريطانيا بعد ياسها من امكانية استمرار النظام الملكي مستعدة أكثر فاكثرا لقبول انقلاب عسكري قادر على ايقاف موجات الحركة الجماهيرية واكساب جهاز الدولة فعالية جديدة .

### النظام الجديد

تظافرت كل هذه العوامل وساعدت « الضباط الاحرار » على انجاز انقلاب ٢٣ يوليوز ١٩٥٢ . وهؤلاء الضباط الذين اظهروا أنفسهم أمام الشعب وكأنهم « رجال ملائكيون » كانوا يحملون رؤية سياسية يمكن تلخيصها في انهم يرغبون في حل ازمة نمط الانتاج القائم واطلاق قدميه ، معتمدين في ذلك على التضحية بجزء ضئيل من الطبقة السائدة ( القسم الاكثر رجعية ) ، وكذا على الاتجاه التجديدي في البرجوازية الوثيقة الارتباط بالرساميل الاجنبية .

واعتقد « الضباط الاحرار » ان تحقيق مشاريعهم يتطلب أربعة شروط :

- توطيد الجيش في جهاز الدولة ، باعتباره ركيزة النظام الجديد .

- جلاء الجيش البريطاني وكسب بطولية التحرير والتجديد أمام الرأي العام الشعبي .

- اجراء اصلاح زراعي يضمن ذبح الجناح المحافظ من الطبقة الحاكمة ويضمن دعم الفلاحين الاغنياء للسلطة الجديدة .

- وأخيرا تشجيع الاستثمارات الصناعية ، محلية كانت أم أجنبية .

والواقع أن هذا التفكير يجد جذوره في الوضعية الطبقيّة للبرجوازية الصغرى العسكرية وما تفرزه من أوهام طبقية ، واهم الاوهام هذه « تلك التي تعتقد بإمكانية التوصل الى الدفع بالطبقة السائدة لتتجاوز ازمتها وتسير بحزم في الطريق الرأسمالي ، وتعتقد بإمكانية دفع الامبريالية الغربية (الامريكية خاصة) الى المساهمة في تصنيع مصر وحل أزمة الرأسمالية» .

22

لكن هذه الاوهام لم تلبث أن أفسحت المجال عبر الممارسة لرؤية سياسية برجوازية أكثر انسجاما ، بقدر ما صارت مصالح برجوازية الدولة النامية تحور الوعي السياسي للضباط الاحرار حسب حاجياتها .

ولم يحظ النظام الجديد بالمساندة من جانب أية طبقة كادحة حيث أن وجهه القمعي الذي اسقط عنه النقاب عندما اعدم البطل العمالي مصطفى خامس ، سار في انفضاح متزايد .

أما المرحلة الثانية من حياة النظام (١٩٥٥ - ١٩٥٨) فقد امتازت بالتحول النوعي الذي طرأ على الوضعية العالمية بفعل العوامل الآتية :

- ولوج الاتحاد السوفياتي السوق الرأسمالية ومنحه دعما ضخما للنمو الرأسمالي للنخب

البرجوازية والبرجوازية الصغيرة الوطنيتين في البلدان التابعة للامبريالية الغربية .

- الازمة المتفجرة التي قامت سنة ١٩٥٦ بين النظام المصري الجديد من جهة ، والامبرياليتين الانجليزية والفرنسية من جهة ثانية ، على أثر العدوان الثلاثي على مصر . فقد استفاد النظام الناصري من الدعم الشعبي الذي حظي به في هذه الازمة فعمل على تقوية احتكاره السياسي داخليا وعلى توسيع مجال المغاور خارجيا ، كما حصل على درجة من الاستقلال الذاتي على الصعيد الاقتصادي يمكن معها نمو برجوازية الدولة .

اما المرحلة الثالثة (١٩٥٩ - ١٩٦٢) فكانت مرحلة انبعاث نسبي للبرجوازية التقليدية التي حاولت أن تفرض على النظام ايقاف المشاريع التصنيعية ، بدعم من الدول الغربية .

وكان جواب النظام أن اتخذ تدابير تتيح صعود نخبة برجوازية صغيرة مهمتها انجاز صيرورة التراكم الرأسمالي الموسع بخطي سريعة . وهذا أيضا وهم طبقي .

وفي المرحلة الرابعة (١٩٦٤ - يونيو ١٩٦٧) صارت البرجوازية الجديدة التي استكملت سيطرتها على وسائل الانتاج تتخبط في التناقضات الناتجة عن وضعيتها الجديدة . فبعد التوجعات التي تطلبها تنفيس الطريق الرأسمالي ، دخل هذا الاخير في مرحلة جديدة من أزمتة . وقد تجلّى عجز النظام الناصري عن الاحتفاظ هذه المرة بميزته الخاصة المتمثلة في استقلاله الذاتي الواسع عن الطبقة السائدة .

لنعد الى النظرية « الناصرية » حيث ترتكز على عدد من الغيبيات منها :



(١) ان البرجوازية التقليدية تشكل وحدها الطبقة السائدة ومن تم صار العمل على اضعافها تدريجيا يدخل في نطاق مد مناهض للرأسمالية .

(٢) ليس لجهاز الدولة أية طبيعة أو مهمة طبقية، اذ هو ، في رأي الناصرية ، لا يعدو ان يكون وسيلة محايدة لممارسة الحكم والادارة والقمع والانتاج وغير ذلك . . . اي انه في النهاية جهاز يضمن التوازن ! وقد أكد محمود حسين على هذه الافكار المغلوطة وعمل خلال صفحات على توضيح الطابع التضليلي لهذه الافتراءات .

ورأى المؤلف مؤداه انه في حالة مصر ، حيث يمارس جهاز الدولة مهاماً اقتصادية ضخمة ، تعتبر البرجوازية التي تنشأ في مراكز جهاز الدولة جزءاً من الطبقة الحاكمة ، ليس بحكم ارتباطاتها التاريخية والعضوية مع ذوي الملكية الخصوصية لوسائل الانتاج ، وانما بحكم الدور الحيوي الذي تقوم به في خدمة اسلوب الانتاج الرأسمالي .

هنا اذن ، وكما هو الحال عموماً ، تكمن « المهمة الاساسية لجهاز الدولة في ضمان استقرار التركيب الاجتماعي الخاضع للطبقات المستغلة (بكسر الغين) مع الظهور أمام الطبقات المضطهدة بمظهر من يمثل مصالحها هي أيضاً » .

ولهذا السبب بالضبط ظلت برجوازية الدولة رغم تكامل هيكلها وتفشي انتهازيتها « تظهر على انها انحراف لم يكن الحكم يرغب فيه ولن يلبث الحكم أن يضربه بمجرد ما يستطيع ذلك . هكذا بقيت الجماهير تفصل بين الحكم وبرجوازية الدولة الناشئة .

وعلى هذا النمو تمكن الحكم أساساً من حماية برجوازية الدولة من الوعي الطبقي للجماهير الشعبية » .

لقد جرت هذه التحولات النوعية تدريجياً كما رأينا وسنرى بتتبعنا تحليل الكاتب .

لكي تبلغ تلك التحولات النوعية نضجها الكامل، لابد من توفر شرط اساسي وهو نظام القمع الشامل لكل مبادرة حرة من جانب الجماهير . ولا يتعلق الامر بالقمع العنيف وحده لان الامر هو المزج بلباقة بين القمع والخداع .

وقد استفاد النظام الناصري بصفة خاصة في هذا المضمار من وضعية عالمية مكنته من تبني لهجة معادية للامبريالية . وانطلق دعاء النظام على الصعيد الداخلي يعممون المفاهيم البرجوازية خاصة منها مفهوم الامة « كوحدة اساسية لا تتجزأ » ، ويلوحون بالشعارات من نوع « لا لدكتاتورية طبقة على الاخرى » « ومن أجل محو التمايز بين الطبقات » الخ . . .

وفي ميدان تطويق وتوجيه الضغط الجماهيري، غالباً ما تبدلت الاشكال التنظيمية التي يقترحها الحكم . والذي لا يجوز نسيانه هو ذلك المبدأ التعاوني « الذي يحشد العامل اليدوي الغير المتخصص ورئيسه في المشغل معاً ، ويخطط الفلاح الفقير بالفلاح الغني ، والمستخدم البسيط بمديره ، الخ . . . » . ويقوم هذا المبدأ على فكرة اساسية وهي تقسيم المجتمع عمودياً حسب النشاط المهني ، سعياً وراء الحيلولة دون توحيد الشعب من القاعدة وحسب المصالح الطبقية .

غير أن تلك الاشكال التنظيمية ، من « تجمع من أجل التحرير » ، ومن « اتحاد اشتراكي عربي » فشلت جميعها لان تنظيماتها التي حملت لقب « الديمقراطية » لم تكن في الحقيقة سوى اجهزة ملحقة بجهاز القمع وشبكات اضافية للضغط .

### النظام في بداياته المتعثرة

منذ شهر غشت اتضح الطابع الاساسي للحكم كنظام قمع ، عندما هاجم بالعنف اضراب عمال كفر الدنوار ، وحكم بالاعدام على الزعيم العمالي الكبير مصطفى خامس وعلي عامل آخر في المصنع محمد البكري .

وسرعان ما صار الشيوعيون وبقية المنظمات الفلاحية والعمالية فرائسا للاضطهاد واجبرت الحركة النقابية على الصمت .

ثم جاء دور الاخوان المسلمين (الذين تصل بعض جذورهم الى الجماهير على كل حال بالنسبة للضباط الاحرار) ليتلقوا ضربات الجماعة الحاكمة التي حاولت استخدامهم في أول الامر . وفي سنة ١٩٥٤ اعلن عن حل تنظيمات الاخوان المسلمين ، والقسي بقادتهم في السجن .

وفي القطب الآخر من المجتمع بدأ كبار الملاكين العقاريين يعبرون عن حنقهم نتيجة اصلاح الزراعي . وفي هذه الظروف لم يكن هناك من سبيل للتخفيف من حدة غضب جميع الطبقات غير انتظار الانتخابات .

وبينما التفت قسم من الضباط الاحرار الى حزب الوفد ، ودخلوا معه في مفاوضات حول تهيه المرور الى نظام مدني برلماني ، انكب عبد الناصر على تقوية مواقعه بفضل ثلاثة نجاحات سياسية :

- جلاء الجيش البريطاني الذي جاء نتيجة مفاوضات انتهت بالسماح لبريطانيا في مقابل قبولها بالجلء ، بالاحتفاظ بسيادة اقتصادية ذات مدى اطول .

- الحصول على اسلحة اتشيكية من شأنها رفع طاقة الجيش المصري في وجه الجيش الاسرائيلي ، ران كانت تلك الاسلحة يراد منها في الواقع انعاش الجيش بشيء من الصيت والنفوذ لدى الجماهير .

- تصفية تنظيم الاخوان المسلمين كآخر منظمة قادرة على تهديد النظام .

وفي سنة ١٩٥٥ لم يعد هناك من معارضة سوى من جانب البرجوازية التقليدية التي تصر على رفض استثمار اموالها في الصناعة رغم أنها فقدت الاملاك العقارية التي كانت في حوزتها . « غير أنها لم تكن تحارب الحكم باعتباره ممثلا لمصالح الشعب وانما باعتباره ممثلا غير مقبول لمصالحها الخاصة » .

كيف انبثقت برجوازية الدولة ؟

ما هي تناقضات النظام وخلفيات هزيمة يونيو ١٩٦٧ ؟  
ما هي التناقضات بين الجماهير الشعبية والطبقة الحاكمة ؟

ما هو مضمون حركة الجماهير وما هي افاقها ؟

يتبع



# حركة التحرر الوطني

## التشاد

عبد الكريم الادريسي

البرجوازية الغربية على عدد كبير من الدول  
في مختلف المناطق والقارات .  
وقد أدركت الحركات الافريقية الآن أن موجة  
الاستقلالات « الناقصة » لم تكن في الواقع الا قانونية  
أي شكلية .

25 ففي التشاد ، تزداد السيطرة الفرنسية قوة  
وشدة متخذة أشكالا مختلفة . وتعتمد فرنسا في  
خطتها على فئة من الرجعيين احتكروا السلطة  
السياسة الاستعمارية التي فرضتها البورجوازية  
وينفذون بدقة مخططات أسيادهم .

فالحرية بالتشاد لا زالت مفقودة ، وأوسع فئات  
المجتمع تعيش استغلالا وحشيا ، كما أن اقتصاد البلاد  
في العموم يعيش أزمة خانقة : هذه حصيلة ١١ سنة  
من « الاستقلال السياسي »

### الحالة الاقتصادية

ان التشاد يعتمد في اقتصاده أساسا على  
القطن . وهذه المادة تحتكر منذ ١٩٢٥ من طرف  
شركة فرنسية « لاكوطونفران » لها ٢٤ معملا .

المساحة ١,٢٨٤٠٠٠ كم  
عدد السكان ٣,٥٠٠ ٠٠٠  
سكان المدن ٧٪  
العاصمة فور لامي  
رئيس الحكومة طومبلباي  
الوضعية الجغرافية : يقع التشاد غرب السودان ،  
شمال افريقيا الوسطى والكامرون ونجريا وشرق  
النيجر وجنوب ليبيا .  
الدين ٥٠٪ من المسلمين .

أحرز التشاد ، كعدد كبير من البلدان الافريقية  
(داهومي ، نيجر ، ساحل العاج ، افريقيا الوسطى ،  
الكابون...) على استقلاله سنة ١٩٦٠ . واذا كان  
الشعب قد ضحى بالكثير لتحقيق هذا الهدف ، فان  
الشكل الذي اتخذه عمليا لا يكتسي أية صبغة  
شعبية . فمردود نضالات الشعب التشادي لم تكن  
في مستوى الصمود الحديدي والمجهودات الجبارة  
التي بذلها لطرد الاستعمار الفرنسي .

وان شعار « الاستقلال » قد جند الجماهير الافريقية  
على العموم لان القارة بمجموعها كانت تعاني من  
الاستعمار المباشر . وان نضال الشعوب الافريقية  
من اجل الاستقلال كان رد فعل جماهيري  
على السياسة الاستعمارية التي فرضتها

وللتشاد ثروات معدنية تتجه نحوها بلهف  
رساميل الاستثمار الجديد والامبريالية . فمعدن  
الاورانيوم محتكر ب ١٠٠٪ من طرف الفرنسيين .  
ومن الراجع ان في ارض التشاد كميات  
ضخمة من البترول . وقد أحرزت شركة كونطنطل  
أويل الامريكية على رخصة التنقيب على مساحة تقدر  
ب ٦٠٠ ٠٠٠ كم ولدة خمس سنوات .

فالواضح هو أن خيرات التشاد تنهب بشكل  
منهجي ومنظم . وان نهب الخيرات هو في نفس الوقت  
نهب واستغلال لمنتجها .

### السياسة في خدمة الاقتصاد

ان ترسيخ السيطرة الاقتصادية الفرنسية على  
التشاد يقتضي سياسة وقوانين معينة . ان التطورات  
السياسية للحكومة لم تكن الا مسيطرة لتطور سيطرة  
الاقتصاد الاجنبي و « للمشاكل » التي تنتج عن  
نضالات الشعب .

ففي سنة ١٩٦١ ، عزل طومبلباي كبريل  
ليزيت عن مهامه ، وكبريل هذا هو مؤسس الحزب  
التقدمي التشادي ، وفي نفس السنة ، نفى أحمد  
كوطوكو رئيس المجلس الوطني بدعوى أنه مس  
بسلامة الدولة . وفي ١٤ يناير ١٩٦٢ ، حل المجلس  
الوطني لانه منع قبل ذلك كل المنظمات السياسية  
باستثناء المنظمة التي ينتمي اليها طبعاً ، وفي أبريل  
١٩٦٢ ، جرت الانتخابات الرئاسية التي نظمها  
« مجلس وطني » جديد ، وكان طومبلباي المرشح  
الوحيد ولدة سبع سنوات . وفي ٥ يونيو ، وضع  
قانون الحزب الوحيد . وهذا القانون يتنافى أساساً

والاثمان التي تدفعها لزارعي هذا المنتج لا  
زالمت مجمدة منذ ١٢ سنة رغم ارتفاع ثمن القطن  
عبر هذه المدة ب ٤٠٪ وعمل هذه الشركة يكونون  
٧٠٪ من المسأجرين (بفتح الجيم) في كل البلاد .  
والاجور التي يتقاضونها منخفضة جدا .

ان « لاکوٹونفران » تستغل في نفس الوقت  
الزارع والعامل . وتتكلف بتصدير القطن وبيعه بأثمان  
مرتفعة . وزارعو القطن في التشاد يعانون كثيراً من  
الضرائب المرتفعة ، وكثيراً ما يرفضون أداءها  
فيسفر ذلك عن تطاحنات دموية .

وان الدولة تستمد ٧٢٪ من ميزانيتها من القطن  
وتخصص ٨٠٪ من مجموع ميزانيتها لاجور  
الموظفين ولتجهيز الجيش . فهي تستغل عمل الجماهير  
وتستعمله ضدها .

26

ومن جهة أخرى ، فان التدهور الذي عرفته  
الصناعة القطنية الفرنسية هذه السنوات يدفع  
« لاکوٹونفران » لتعزيز الاستغلال وتحقيق أرباح  
أكثر ضخامة من السابقة باعتبار أن تضخم الارباح  
هو طبيعة الاستثمار الرأسمالي . وقد كان متوقفاً  
أن المعاهدة التي عقدها طومبلباي مع شركة  
لاكوٹونفران سنة ١٩٦٠ قصد تجميد ثمن القطن  
ستنتهي سنة ١٩٧٠ ولكن زيد فيها سنة .

أما بالنسبة لمربي المواشي ، فان وضعيتهم  
أخذت تتأزم وبشكل واضح منذ سنة ١٩٦٤ أي تاريخ  
انسحاب التشاد من الاتحاد الجمركي والاقتصادي  
لافريقيا الوسطى . فقد كان هذا الاتحاد يضمن لهم  
على الأقل أسواق الدول التي أسسته .



مع أبسط مبادئ الديمقراطية • فهو يفرض خط طبقة معينة على مجموع الشعب ويقمع أي حركة سياسية تناهض الخط المتواطئ مع الاستعمار الجديد •

### حركة التحرر

ان الجماهير التشادية لم تنتظر شيئاً من قوانين الحكومة لتقوم بنضالات قوية ولم تؤمن بخرافات الديمقراطية تحت حكم يخدم أساساً مصالح الاستعمار الجديد • فقد ادركت الجماهير من خلال تجاربها أن مصالحها متناقضة مع مصالح الاستعمار الجديد ومؤيديه المحليين • ففي سنة ١٩٦٥ رفض سكان وادي في شرق التشاد أن يؤدوا الضرائب لارتفاعها بنسبة ٤٠٠٪ • وتدخل الجيش لقمع السكان • وفي نفس السن عرفت عمالات بوركو - انيدي - تيبسي نضالات قوية •

وفي ١٩٦٨ هجم بعض الثوار على إحدى المستودعات واستولوا على الأسلحة • وأدى هذا الحدث إلى تدخل الجيش الفرنسي • ومنذ ١٩٦٨ ونضال الجماهير يتسع ويشمل أغلب مناطق البلاد • وان جبهة التحرير الوطنية التي أسست سنة ١٩٦٦ هي التي تقود كل النضالات في التشاد • وتطرح في برنامجها السياسي « الاطاحة بالحكم الدكتاتوري وخلق حكومة وطنية ديمقراطية وشعبية »

وقد حاول طومبلباي تشويه نضالات جبهة التحرير الوطنية واتهم أعمالها بالسرقة والصوصية • كما أنه يشجع التفرقة التي وضعها الاستعمار بين الشمال والجنوب • فان أهم المعامل والمؤسسات

الاقتصادية توجد في الجنوب • وهذه التفرقة تظهر حتى على صعيد التعليم • فنسبة التدريس بالتشاد تبلغ ٢٥٪ ، و ٧٥٪ من هذه النسبة يستفيد منها الجنوب ، وفي الشمال ٥٪ فقط وأغلب أطر الإدارة يستقربون من قبائل السارا الجنوبية • ويشن طومبلباي حملة تشويهية على الحضارة العربية في الشمال • ولكن الجماهير أخذت تتجاوز هذه التفرقة لا بالشعارات فقط • ولكن كذلك عبر ممارساتها اليومية • فقبيلة التوبوس تنتمي جغرافياً إلى الشمال ولكن عملياتها تشمل حتى جنوب البلاد •

### الوجود العسكري

لما أحرز التشاد على الاستقلال سنة ١٩٦٠ لم تسحب فرنسا كل جنودها • فقد بقي في فور لامي أكثر من ١٠٠٠ جندي • وتلقى الحكومة التشادية قسماً وافراً من الأسلحة الفرنسية • وبجانب فرنسا، تلعب إسرائيل والكونغو كينشاسا دوراً مهماً في دعم طومبلباي ضد الثوار • ففي سنة ١٩٦٨ ، خلق اتحاد دول إفريقيا الوسطى وكان خلق هذا الاتحاد يدخل في مخطط أمبريالي • وكان التشاد من أعضائه • وقد قبل موبوطو في إطار نشاطات هذا الاتحاد تدريب ٣٠٠ شاب تشادي في إسرائيل وذلك لتكوين « فرقة مظلات » وان الجنود الكونغوليون يشاركون الجيش الفرنسي في عدة هجمات ينظمونها ضد الثوار • هكذا فإن التغلغل الأمريكي يتم وراء وعبر علاقات إسرائيل والكونغو كينشاسا بالتشاد وحتى الآن يوجد ٥٠ مستشاراً إسرائيلياً في التشاد يوجد من بينهم

المسؤول عن قوى الامن التشادية ، ولا داعي الى توضيح علاقة الصهاينة بالامبريالية الامريكية .

ولكن مهما كانت الامبريالية متقدمة من الناحية التقنية والعسكرية ، فان قوة الشعب أضخم لانها ديناميكية ويدعمها ايمان الجماهير بنضالها وبالاهداف التي ترسمها . وأقوى دليل على ذلك هو أن تسعة مناطق على ١٤ محررة الآن يبنى فيها اقتصاد جديد ويخاض فيها تعليم شعبي وديمقراطي . وان دعاة

السلم المجرد ييأسون لتضخم نضالات شعوب العالم الثالث ولانتصاراتها ، فالجماهير ترفض السلم اذا كانت مقهورة ، وتكافح من أجل احلال سلم حقيقي .  
وقد قال انجلز « اذا وضعت الناس في ظروف لا تناسب الا البهائم ، فما عليهم الا أن يثوروا أو أن يخضعوا للحيوانية » .





# شؤون فكرية

النقد الذاتي وازمة التفكير السلفي

عبد القادر الشاوي

« كل ما هو رجعي لا يسقط اذا لم تضربه ، وهذا يشابه عملية الكنس ، فالغبار لا يزول عن مكانه من تلقاء نفسه ، اذا لم تزله المكنسة ٠٠٠ »  
« ٠٠ ان كل الافكار الخاطئة وكل الاعشاب السامة ، وكل الشياطين والغيلان ، يجب أن تعرض ماوتسي تونغ للنقد ٠٠ »

1

29

سأوضح فد٠٠ بعد - بمفهوم الجهاد ، كفكرة اسلامية محورية بهذا الصدد ، كانت دون « المرحلة » التي كان يمكن أن تحققها الحركة الوطنية ، اعتمادا على أسلوبها الذاتي في تحضير جو الثورة الوطنية (كتقديس الزعيم الواحد-التمسك ببعض الاشكال التقليدية للسلطة اكبار الشعور الوطني) وهكذا لم يعد باستطاعة الحركة الوطنية في ظروف المواجهة على امتداد فترة طويلة (١٩٤٤ - ١٩٥٦) أن تتجنب التناقضات الذاتية التي كانت تحكمها ، وكانت تلك التناقضات محدودة بعوامل عدة منها :

- (١) غياب النظرية الثورية ، كأساس ايديولوجي في تحديد المنطلق ، وتوضيح الهدف ، تحديدا وتوضيحا علمانيين ، بمعنى امتلاك الموقع الاستراتيجي - الطبقي ، وأبعاده ومعطياته .

يبدو أن الحركة الوطنية في المغرب . ذاتيا وموضوعيا ، وعلى امتداد ربع قرن ، كانت تفتقد الى التثوير العملي الضروري على المستويين الطبقي والسياسي ، تثويرا نشيطا دافعا ٠٠ يكفي ان نقول مجردا ان سيطرة العامل الديني - كموروث عقائدي غيبي محافظ - كان من بين العوامل الاخرى ، التي عطلت كل فاعلية من هذا القبيل ، على المستوى الذاتي، فان الحركة الوطنية بقيادة الاحزاب السياسية الرجعية، لم تكن مهياة مطلقا - في المدى البعيد أو القريب - لخوض تجربة نضالية متقدمة لوعيتها التاريخي بشروط مأزق المرحلة . تجاوزا نقول « تجربة نضالية » ، وبالدرجة الاولى انسجاما مع تحديدها الايديولوجي المتوارث لمستوى النضال ودوره الطبيعي . في رأيي، أن الارتباط السلفي على المستوى الفكري - كما

في هذا الاطار اذن ، يمكن أن نتكلم بشيء من التوسع عن كتاب (النقد الذاتي) (١) كتعبير نظري ، عن مجمل القوى الفكرية ، التي تحكم في سير الحركة الوطنية التقليدية ، وتوجيهها ، الوجهة التي كانت ترى فيها ، المحافظة على مركزها المرموق ، من ضمن البنى التقليدية المتعايشة في المجتمع المغربي . وكتعبير نظري أيضا - بما كان له من مردود تضليلي - اراهبي عن طموح الارستقراطية - البورجوازية ، في انصاج « الشكل الجيني للوعي » لدى الجماهير الشعبية ، مع الحفاظ على مواقعها الطبقيّة ، درءا لنمو الوعي الثوري لحركة الجماهير - ومن هذه الزاوية يعتبر (النقد الذاتي) نقدا للحركة الوطنية في اطار بورجوازي - توفيقى ، باعتبار أنه يركز - كما سنرى - على المعطيات الدينية في الاستنتاج والتخريج . النقد - كما نفهم - الذي يمكن أن توجهه القيادة الارستقراطية - البورجوازية ، لحركة سيرها ذاتها . لاننا نفترض أن حركة الجماهير ، جماهير الفلاحين في الريف ، والبروليتاريا المعدمة - الرثة في المدن ، وقطاع من البورجوازية الصغرى ، لم تكن متفهمة لابعاد النضال الثوري ، ضد الاستعمار ، ولمصلحة من يتم ذلك ؟ وعلى أي أساس ، وضمن أي برنامج ، وبقيادة من ؟ وهو بالتالي (أي كتاب النقد الذاتي) محاولة لطرح بديل نظري وتوضيحه من وجهة نظر حزبية ملتزمة في مستوى ما ، أفترض أن هذا المستوى أصبح معروفا لدينا بالدليل الملموس ، دروسا استفادت منها البورجوازية الوطنية على وجه

(١) النقد الذاتي (علال الفاسي) الطبعة الاولى

١٩٥٢

- (٢) استحالة « تحديث » حزب ثوري في جو « الفتنة الوطنية » كاطر تنظيمي « مرشد الجماهير » وقائد الطبقة العاملة والجماهير العريضة من الشعب .

- (٢) طبيعة تكوين الحركة الوطنية في حد ذاتها ، كحركة جاءت نتيجة لتكاثر بعض العوامل الموضوعية (الاستعمار - الشعور القومي بالعروبة - ضرورة الاستقلال ٠٠) مما زج في صفوفها بكثير من التناقضات ، كانت مدعاة لفشلها المرتقب ، وهذا ما كشفت عنه الظروف فيما بعد ، بحيث أصبحت الحركة الوطنية ، مسيرة لوحدة الطبقات المألوفة ، وجسرا فاصلا بين الجماهير العزلاء ، ونظام الحكم في البلاد .

على المستوى الموضوعي ، كانت الحركة الوطنية ، بتركيبها الطبقي المتناقض - المتعارض (شبه اقطاعي - شبه بورجوازي - بورجوازية صغرى نامية ٠٠) في مواجهة الاستعمار المستوطن - كهدف مشترك - كل طبقة من موقع مختلف ومحدد في نفس الوقت : ولان الاختلاف ، كان يفضح طبيعة التحالف وقيمتيه ومستواه ، وبالتالي خطره ، ارتباطا مباشرا بالاستعمار أو غير مباشر ، عداءا سافرا ، أو عداء لفظيا ٠٠٠ فكذلك التحديد ، يضع كل طبقة من تلك الطبقات ، في سلم توجيه مسيرة الحركة الوطنية على المستوى الفكري - خاصة - والتحكم في اتجاه سيرها العام ، على أساس تلك المعطيات ، وكنتيجة طبيعية حال هذا التركيب الطبقي المتناقض بين الجماهير المغربية ، وبين تبعة عملية الثورة الوطنية باختصار .



أقصى ، في الوقت الذي كانت مهياة فيه لاستقبال استقلال صوري ، وفي الصيغة التي يقدمها السيد علل الفاسي في الكتاب ، ذلك أن « القيادات التقليدية للحركة الوطنية بسبب تركيبها الطبقي ، دفعت بالحركة الوطنية في طريق المساومة والتسوية ، واعتبرت الاستقلال السياسي خاتمة المطاف ، تستطيع أن ترث بواسطته بعض مواقع الاستعمار ، وتحقق ضربا من التوفيق بين المطامح الوطنية للجماهير وبين مصالح لاستعمار مصالحها الطبقة في نفس الوقت » (٢) •

وانطلاقا من هذه الموضوعة يمكن أن يتشعب الحديث عن دور حزب الاستقلال « كحزب ذي تكوين ليبرالي ، ذي طبيعة رجعية ، دي ايدولوجية اسلامية متوارثة » (٢) في مطلع الاربعينات وما بعدها ، وقوته الفعلية ، كتنظيم سياسي ، ومدى توجيهه ، وفي رأيي أن الكتاب الذي بين ايدينا ، هو ثمرة كفاح الارستقراطية - البورجوازية ، نظريا ، ومدى تعبيرها عما يمكن ان يعثر عليه القارئ في الكتاب من تنظير للإصلاح والبناء بمفهومها الرجعي - التقليدي ، في هذه المرحلة بالضبط •

وهذا موضوع آخر ...

قلت سابقا ان (النقد الذاتي) هو محاولة ل طرح « البديل » ، وهذا يبدو صحيحا الى حد ما ، نظرا

(٢) حول بعض قضايا الثورة العربية / ياسين الحافظ

دار الطليعة - بيروت ١٩٦٥ ص ٢٥٢

(٣) موضوع للكاتب لم ينشر بعد بعنوان : الثقافة المرفوضة

لان الكتاب ، يتوسع في الشرح ، حتى يشمل جوانب الحياة العامة ، فكرا واقتصادا ، وسلوكا اجتماعيا • الا أنه ومن زاوية ذات خصوصية مفرطة في التركيز ، يؤكد على الجوانب الفكرية ، التي كانت تقود الحركة الوطنية (الباب الثاني مثلا : التفكير بالثال ابتداء من ٩٠ وما بعدها) • هذا التركيز له مدلوله الخاص ، من حيث أنه يستنطق الثرات السلفي ، ويستعير بعض المفاهيم الدينية ، بغية استحضار ما هو (سلفي) ، بديلا لما يسميه السيد علل « بالالحاد وعدم الاعتداد بالدين » ص ١٠٠ •

وبطبيعة الحال ، فان الفكر السلفي ، كان يمكن أن يقدم شيئا جديدا لولا الافكار المثالية المغلوطة ، التي يطرحها كقاعدة للبحث ، وكان يمكن أن يقدم شيئا جديدا أيضا ، لولا منهجه الاسطوري المغرق في التبشير ، الا أننا - وهذه شهادة جيل - لا نستسيغ ذلك ، ولا يمكننا ببساطة ، باسم العلمانية الفكرية ، وطرائق التفكير العلمي المتقدمة •

وعلى غرار ذلك يمضي السيد علل الفاسي محاولا استخراج بعض القواعد الاخلاقية « للمواطن الصالح » على حد تعبيره ، متمثلا بالحضارة العربية السلفية « يوم كان الجاحظ ينام في دكاكين الوراقين ، يستمد مما عندهم ، وكان ابن المقفع يسهر على نقل الحكمة القاصية ، بينما يقف الباقلاني واضرابه ، أنفسهم على سهر الليالي ، روات العدد ، رغبة في التوفيق بين الدين والعقل » ! ص ٢٨ • وهكذا يمتحن علل الفاسي المنهج العقلي بتحفظ « لبعث ثقافة اجتماعية في حدود التفكير السلفي درءا من كل جديد ، والذي لا يمكن أن يكون الا نسخة من الغرب » - (٤)

ينقسم الكتاب الى الابواب التالية : مسائل الفكر - التفكير بالمثال - الفكر الاقتصادي - الفكر الاجتماعي . ويصل بين هذه الابواب جميعها ، خيط فكري مترابط ، مجبول من واقع الفكر السلفي بالتحديد ، منتظما بعض القضايا التي يعتقد السيد علال ، أنها تعبر بمسؤولية والتزام معانفين ، عن شواغل المرحلة الوطنية ، ولو في فترة متأخرة بعض الشيء . لهذا سيكون المنطلق الى تحديد بعض الافكار التي يطرحها كتاب (النقد الذاتي) ومناقشتها ، اقرارا بأن احتضار الثقافة السلفية الرجعية ، أمر أصبح مؤكدا بالدليل الملموس . هكذا ، وبقدر ما يهدف التطور بمستوياته المتعددة الى التجاوز ، الى تحقيق نقلات متوالية ، فنحن كذلك - ذاتيا وموضوعيا ، نريد أن نحقق ، ونجاوز ، وأن نتحقق عبر الفعل الثوري ، اجتماعيا واقتصاديا . . .

أولا : ينطلق السيد علال الفاسي ، من قاعدة أخلاقية ، اقتداء بموضوعات الفكر السلفي ، ويقصد الى القول في الفصل الاول باختصار :

(١) ان « الطغيان » الاناني هو مصدر كل النقائص

الاجتماعية التي نحس بها في وسطنا ص ٣

(٢) « اذا يجب أن نجعل من فرديتنا ، أنانية متوجهة

نحو مصالح الامة ومنافع المجموع » ص ٦

(٣) لتحقيق ذلك يفترض السيد علال « تلك الروح

المغربية التي جعلت من أسلافنا أولياء ممتازين وأبطالا متفوقين ، لا يغارون الا على حقوق الله والوطن» ص ٦

(٤) لهذا يجب أن نأخذ أنفسنا على تفكير غير رجعي » ص ٩

(٥) ان اهتمامنا ينبغي أن لا يخص طبقة دون أخرى ، بل يجب أن يعمل على اصلاح شامل ، وتحسين كامل لحال الطبقات الاجتماعية بأسرها ، تحقيقا للتقارب بينها » ص ١٥

(٦) ان توجيه تفكيرنا للاحاطة بكل النقط التي تنطوي عليها مسائلنا القومية ، هو العنصر الاساسي لتكوين الفكرة الطيبة التي تنطلق منها دعوة كفيلة باصلاح المجتمع وتحرير الافراد » ص ٢٤ .

(٧) ان الفكر الصحيح الذي تحتاجه الامة ، ويمكن أن ينقدها من مصائبها ، ليس هو تفكير الشارع الذي يبنى على أصول عادية ، ولكنه فكر الطبقة المتنورة التي تستطيع أن تقلب الاشياء على جوهرها ، وتنفذ الى أعماقها » ص ٣٥

(٨) ان الديمقراطية حسنة في كل شيء ، الا أن الارستقراطية الفكرية شيء ضروري لتوجيه الامة » ص ٣٥ .

(٩) واذا أردنا أن نكون من انفسنا هذه الطبقة الرفيعة - ويعني الارستقراطية - وجب علينا أن نتحرر من كل سيطرة ، غير سيطرة الفكر المؤمن



بالحرية ، حتى نستطيع أن نحرر الفكر العام من خرافات الماضي ، وفضلات العصر الحديث » ص ٦٤ (١٠) يجب علينا أن نتصور التحرر تدريجيا من منطق الشارع ، والترفع قليلا عن التأثير بواقعية الحياة » ص ٣٨

(١١) ان تعميم التفكير - ويعني التفكير السلفي - في الامة هو سبيل نهوضها وتحريرها » ص ٤٤ .

#### 4

ان هذه الافكار مجملة على هذا الشكل ، هي كل ما يمكن أن يخرج به القارئ ، عدا بعض التوجيهات المتأدبة ، والارشادات التي لم يبخل السيد علال الفاسي بجهده في اسدائها ، منثورة هنا وهناك ، ويجب ان نشير ، الى ان هذه الافكار التي قدمتها ، تنطلق جميعها من موقع فكري معين ، وتهدف - بالتالي - الى مخاطبة الآخرين في موقعهم ، بالتناسب ، الا انها في حالات متعددة ، تلغي هذا التناسب العام ، لصالح صفوة مختارة ، حرص السيد علال الفاسي منذ البداية ، على التوجه اليها بكل اخلاص ، ورغم ذلك ، فان هذه الملاحظات ، لن تعفي كتاب (النقد الذاتي) من بعض الانتقادات أجملها على النحو التالي :

(١) كان يجب أن نقول منذ البداية ان أفكار السيد علال ، كتعبير عن موقف خاص ، تجاء بعض المفاهيم

الرائجة (الدين - الدولة - الايديولوجيا - النظم الاخلاقية ١٠٠٠) هي أفكار مرفوضة أساسا . لماذا ؟ .

لانها تقوم الوعي الذاتي المغلق ، بكل ذلك ، بديلا للوعي الطبقي المفتوح ، وتهدف الى التوجيه ، أخلاقيا واجتماعيا ، بقدر ما تهدف الى التقويم من زاوية خاصة . وأعتقد أننا على اتفاق اذا قلت ان هذا التوجيه ، كان يروج في مرحلة ما ، لطرح المفاهيم الاستقلالية « كمذهب وعقيدة » ، على قطاع واسع من الجماهير ، كانت ترى أن الامل المعلق ، هو استرداد الشعور القومي بعروبيتها واسلامها ، وبالمواطنة السلبية من جهة أخرى .

لذلك كانت « الاستقلالية » في هذا المستوى الليبرالي 33 مهياة لاحتواء هذا الوضع بكن تناقضاته . الا أنه بعد وقت طويل ، ظهر أن هذا الاحتواء كان استيلا طبقياً في واقع الامر . كان مشروعا للاعتناء الطبقي بتعبير آخر على حساب الجماهير المغربية الكادحة .

- (٢) ومن هنا يمكن أن نعثر على الحلقة المفرغة في تفكير السيد علال ، باعتباره تنظيرا طبقياً بين أن يكون استنتاجا ذاتيا مثاليا ، يفرج عن رغائب الارستقراطية - البورجوازية في التعبير - كما يحلو لها عادة - عن الجماهير ، وبين أن يكون موجها - كما أفترض - الى هذه الجماهير ذاتها .

فهذه المفارقة العجيبة - كاستنتاج أول - تنسحب على كل الافكار المقدمة سابقا .

(٢) لقد وقع السيد علال في تناقض آخر يمكن تحديده كالآتي : ففي الوقت الذي اراد أن يقول « نريد ثورة في التفكير من عقليتنا ، ونعمل على تبديل ذهنيتنا ، حتى نستطيع أن نعالج مشاكلنا وفقا لما يقتضيه هذا العصر الذي أصبحت فيه المادة والآلة في المقام الاول » ص ١٠ نراه يقفز عن هذه الموضوعات - بفاعلية المنبه السلفي - ليجد نفسه أمام التسليم بأن « الحركة السلفية التي علمت بدأ نهضتنا أول تمهيد لهذا الكفاح العقلي والاجتماعي ، ستظل من غير فائدة اذا لم تتوج بحركة اصلاح شاملة ، وبدرجة أقوى وأشد عتوا . لقد علمت السلفية الشعب ان يستمع لنقد كثير ، كان يحرم على نفسه ان ينظر فيه او يسمع لاستنكاره وهي لم تقم الا بواجب يفرضه الاسلام » ص ٥٤

- (٤) فهذه التناقضات على هذا النحو كثيرة ومتعددة ، تفتقد الى الضابط العقلي ، بل انه لا يجب ان نذهب بعيدا حتى نتحقق من ذلك ، انها بتعبير واضح من لوازم التفكير السلفي وخصائصه .

- (٥) يذكر السيد علال الفاسي ، أن الفكر الصحيح الذي تحتاجه الامة ويمكن أن ينقذها من مصائبها ، ليس هو تفكير الشارع الذي يبني على أصول عادية ، ولكن فكر الطبقة المتنورة (ص ٣٥) . هذا القول بالضبط ، يعيد الى الذهن أصول التفكير البورجوازي السائد الذي يصدر عنه كتاب (النقد الذاتي) في كثير من فصوله . وليس من التناقض في شيء أن يصرح السيد علال الفاسي بذلك ، ما دام

المستوى الفكري العام الذي يطرحه ، له خلفياته الطبقيّة المحددة .

من هنا يجب أن نقول - على اعتبار أن الثقافة السائدة ، هي ثقافة الطبقة المسيطرة (بكسر الجاء) - ان كتاب (النقد الذاتي) كان مرشحا لان يلعب دورا ارهايبيا على المستوى الفكري في فترة تاريخية محددة ، بل وأن يمارس استيلا طبقيًا - كما سبق أن قلت - على نطاق واسع ، في الوقت الذي كانت فيه الجماهير المغربية ، متمسكة بقيادة الاحزاب الرجعية قبل (١٩٥٩) . وهذا بالضبط ما رفع السيد علال الى التوجه بكثير من الآمال الى الشباب ، الذي يتردد ذكره في كثير من فصول الكتاب على يفي بجهد في الاستقطاب النظري ، ضربا على الاوتار التقليدية المعروفة (الدين - الديمقراطية - الليبرالية - المشروعية والتعاضدية الى آخر القائمة) .

ومن هنا أيضا ، نفهم السياق العام الذي ورد فيه القول المذكور أعلاه ، فالابتعاد عن تفكير الشارع كما يعبر علال الفاسي - هو بالضبط وبلغة فكرية مهذبة فقط ، تحقير ساذج لآمال الجماهير العريضة ، أو محاولة لفرض التوجيه الطبقي الارستقراطي المقصود . والسيد علال يؤكد ذلك - هو نفسه - عندما يقول : ان الديمقراطية حسنة في كل شيء ، الا أن الارستقراطية الفكرية ، شيء ضروري لتوجيه الامة « ص ٣٥

(٦) أعتقد ان الاسترسال في هذا المستوى ، يسلمنا الى سؤال محدد وهو : كيف يمكن ان نواجه هذا



ومنها وطننا العربي ، مطالب بتحقيق الثورتين معا :  
ثورة علمية - علمانية على الصعيد الفكري والثقافي،  
وثورة على الصعيد الاقتصادي ، تغير علاقات  
الانتاج الاقطاعية ، وشبه الرأسمالية ، بعلاقات انتاج  
اشتراكية لتركيز قاعدة مادية لانطلاق اقتصادي جدي .  
لذا فان الثورة الاشتراكية في بلد متخلف ستكون  
هجينة ومشوهة ومبتورة اذا تناولت بالتغيير الجانب  
الاقتصادي دون أن يترافق هذا التغيير بثورة علمية  
- علمانية على الصعيد الفكري والثقافي ... »  
(ص ٢٧٥)

للموضوع بقية

الضرب من التفكير - السلفي - الرجعي - المتفشي  
بشكل غريب في الوسط المغربي ، بل وفي البلدان  
المتخلفة عموما ؟

يقول (ياسين الحافظ) : في مواجهة الواقع  
العربي الذي يشله التخلف الثقافي والاجتماعي  
الغارق في ظلمات السحر والوهم والغيبات ، يصبح  
التأكيد على الجانب العلمي - العلماني من  
الماركسية ضرورة لا بد منها لمواجهة هذا الواقع  
مواجهة جذرية شاملة « (ص ٢٧٤) لهذا - كما يقول  
أيضا - فان النضال الاشتراكي في البلدان المتخلفة ،

## شؤون فلسطينية

مجلة علمية مختصة بالقضية الفلسطينية

تصدر ست مرات بالعربية وأربع مرات بالانجليزية سنويا

المسؤول : أنيس الصايغ ، مدير عام مركز الابحاث لمنظمة

التحرير الفلسطينية

العنوان ! ص ١٣٩١ ب ٠ بيروت

الاشتراك السنوي ( بالبريد الجوي ) ٢٥ ل ٠ ل أو ما يعادله

في الوطن العربي و ١٥ دولارا أو ما يعادله في الخارج .

# الركن الأديلوجي

## التجديد الثقافي والتحرر الفكري (1)

عبد اللطيف اللعبي

فمن جانب العلم الحي ، اي المسيس ، المرتبط بالممارسة العملية ، المميز بالوقوف بجانب الجماهير الشعبية المضطهدة ، انطلاقاً من تطلعاتها التحررية ، فان لكل التزام لونه الخاص وانعكاساته الخاصة كما أن المناهج العلمية تخضع هي الاخرى الى اختيارات معينة . فالعلم الشبه اقطاعي أو البرجوازي مثلاً هو اديولوجي في عمقه كما أن العلم الاشتراكي اديولوجي كذلك . ليس اذن هنالك علم نزيه كما يعتقد . وليس هنالك أيضاً مجرد خلاف كما يعتقد ما بين مفهومين للحقيقة والاخلاق . بل هنالك فاصل قاطع ما بين الالتزامين مضادان تماماً وفي حالة معركة مصيرية .

لهذا سنبدأ بوضع بعض الاسئلة ، وانطلاقاً

(١) يركز هذا المقال في مجمله على نص العرض الذي كنت قد القيته في مارس ١٩٧٠ « بدار الفكر » وذلك تلبية لدعوة اتحاد كتاب المغرب . وكان الموضوع المقترح علي هو « التيارات الجديدة في فكر القرن العشرين » .

### المنهج الوصفي والمنهج العلمي

اننا اذا اجتنبنا مآزق العلم الوصفي البرجوازي وما يليه مما يسمى « بالموضوعية الحيادية » والواقعية الجدية ، نستطيع أن نواجه الموضوع المقترح علينا لا كنفاد أو باحثين مجردين بل كمناضلين في اطار المعركة الفكرية والثقافية الوطنية والعربية التي تخوضها كل القوى التقدمية في البلاد .

لانه لا يمكن أن نسمح لانفسنا بالوصف والحياد والتصنيف ، وعرضنا هذا ينطلق من الفكرة الاساسية التالية : ان ساعة الاختيارات الحاسمة قد دقت وأنه لابد من تعرية جذرية لكل الالتماسات والاستيلايات الفكرية والثقافية التي يتخبط فيها مجتمعنا ، وعلى الاخص مثقوننا ورواد الفكر عندنا .

ان كل عمل او منهج في هذا الميدان يخضع حسب رأينا وفي كل الاحوال الى التزام واختيار معينين ، والالتزام يتغير فحواء حسب الانعكاسات الطبقية والمناهج العلمية وطرق التعبير والتبليغ التي يتبناها أو يقف بجانبها الملتزمون .



منها ، سنحدد الاطار الذي اخترناه لتحليلنا ،  
ونشير كذلك الى المزالق التي نرفض زج أنفسنا فيها  
على أساس أنها لا تهمنا ولا تستطيع أن تكون الا  
موضوعات انشائية لمستهلكي الثقافة الغربية  
البرجوازية ومختصيها الناشئين ، ونحن نؤكد على  
هذا الموقف من الناحية المنهجية لكي يظهر جليا أننا  
نرفض الدخول في أية مناقشة لا تعني مباشرة  
ولا تضع كأرضية ثابتة قضايا وتطلعات جماهيرنا  
الكادحة . هذا هو التزامنا الصريح وعلى أساسه نبني  
منهجنا العلمي .

### ماذا يعني اذن بالتيارات الجديدة ؟

هل هي التيارات التي تحتم وجودها علينا  
يومية الصحافة والكتب المعروضة واجهزة الاعلام  
المختلفة والتي يهتف بها كثير من المثقفين عندنا ،  
أكانت ثقافتهم غربية أم عربية ؟ ان نظرة خاطفة عما  
كتب في الصحف والمجلات خلال البضع سنوات  
الماضية لتبين بوضوح ان هذه التيارات ، في نظر  
معظم مثقفينا هي التيارات المحصورة في حلقة الثقافة  
والفكر الغربيين بما فيهما من « موضوعات » فلسفية  
وادبية وفنية الخ ، ولا تلبث هذه المستوردات أن  
تصبح نبراسا للتجديد والمقارنة ما بين الجديد والقديم ،  
الرجعي والطليعي .

وقد يحصل هذا الاستيراد مباشرة ولكنه يأتي  
أيضا على يد مثقفي الشرق العربي الذي يخضع

بعضهم هم الآخرون لنفس الاستيلايات .

واننا لم نضع هذا التساؤل عفوا ولم نتطرق  
لموضوع هؤلاء المثقفين صدفة . لقد طرحنا ذلك وعيا  
منا بأن هذا التحريف يشكل ظاهرة أساسية ولن  
نستطيع ان نحقق أي تغيير جذري ما دامت هذه  
الافكار مهيمنة ولم نستطع أن نستأصلها من واقع  
ثقافتنا وفكرنا .

وهذه الظاهرة ناتجة عن مسلكين اثنين .

اولهما وهو منتشر عند المثقفين ذوي التكوين  
الفرنسي ، يكمن في الاعتقاد أن « التخلف » طامة  
شاملة وان التخلف الفكري والثقافي واقع آلي في  
المجتمعات المتخلفة اقتصاديا . يكمن كذلك في  
الاعتقاد بأن المجتمعات الغربية بتقدمها، التكنولوجي  
والعلمي تبلور حتميا ثقافة وفكرا في مستوى أعلى  
وأرقى من مستوى ثقافات « العالم الثالث » -

لن نتماطل في الرد عن هذه الاعتقادات ومن  
جملتها خرافة التخلف في مجتمعاتنا ، فالتحليل الذي  
سيأتي سيبين مدى لا جدية هذا المنطق .

ومن مثل هذه التخمينات ينطلق هؤلاء المثقفون  
الى قرارات أخطر ، فيقفون اتجاه ثقافتهم موقف  
الاحتقار والسخرية ، ثم يصبحون مستهلكين للثقافة  
الاجنبية ، ببغائيين ، ويفقدون كل مبادرة فكرية  
خلاقية .

ثانيهما وهو منتشر عند المثقفين ذوي التكوين العربي ناتج عن مركب نقص يدفع بهم الى تفتح غير انتقائي وساذج شيئا ما على الثقافة الغربية ، وهذا التفتح يصبح في بعض الاحيان نوعا من الترف الفكري وأداة من أجل الترقية الفكرية . فنرى على سبيل المثال كثيرا من كتابنا الشباب الذين يجدون طمأنينة وعزة في نسبة ما يكتبون لطريقة روب غرييه او بيكت او غيرهما ، وهذا يمثل بالنسبة اليهم وسيلة للالتحاق بركب الطليعة التجريبية . وسنتناول بالنقد في تحليلنا هذا الجانب كذلك .

ما هو الجديد ، وبالنسبة لمن ؟

طبعا كل طبقة اجتماعية ولا سيما الطبقات المهيمنة أو التي تنتظر دورها لممارسة الحكم لها خصوصياتها الفكرية والتعبيرية . فهذه الطبقات لا تكتفي بالهيمنة الاقتصادية والسياسية ، بل تسخر كذاك العلم والفكر والثقافة للسيطرة الاجتماعية ولتأمين المستقبل . لهذا نحن مضطرون لوضع هذا السؤال : ما هو الجديد وبالنسبة لمن ؟

وإذا انطلقنا من موقف الطبقات المستغلة (بفتح الغين) فنحن ملزمون بالإجابة على هذا السؤال قائلين : ان كل الموضات الفكرية في الغرب والشرق التي يهتف بها جل مثقفينا لا تعنينا قطعا لأنها لا تستجيب لحاجياتنا ولا تعبر من أي جانب كان عن تطلعاتنا للتجديد والتحرر واجهاض واقع الاستغلال . انها تيارات موسومة من الناحية الايدولوجية والطبقية ، ولا غرابة اذا وجدناها موضوع البحث والنقاش والاعجاب في بعض الصحف وفي الجامعة وفي حلقات

المثقفين المحترفين . ولا غرابة اذا سمعنا تأوهات هذه الاوساط عن عزلتها وعن الهوة الموجودة بينها وبين الجماهير وعن عدم تفهم الجماهير لافكارها وتجاربها وغربتها ، فلا يعني الجماهير بطبيعة الحال سأم هذه الاوساط ولا ضياعها وتمزقها وشعورها بالحرمان وعدم التكامل أو فشلها في الميدان الجنسي وأزماتها النفسية الى غيرها من الموضوعات المألوفة .

لا يهم كذلك هذه الطبقات المستغلة أن تكون هناك علوم متعددة الاسماء ، وتقنيات وميتودولوجيات جديدة ومدهشة اذا لم يكن هدفها الحقيقي تمكينها من تحريك أكثر فعالية لعجلة التاريخ وتحطيم الهياكل التي تقمعها ماديا ومعنويا .

وبهذا الصدد أتذكر مناقشة دارت مع استاذ مغربي سسيلوجي بعد محاضرة عن « السسيلوجيا والعالم الثالث » حيث قال : ان شعوب العالم الثالث والعربي ليست لحد الآن في مستوى السسيلوجيا ولا تستحق هذا العلم ، فأجبناه آنذاك : ان هذه الشعوب هي على كثر حال في استغناء تام عن علمك المزعوم لأنها لا تنتظر تصنيفا او وصفا لحالتها ولكنها تنتظر الفكر الذي يمكنها من تغيير واقعها بنفسها .

### خلاصة لمضامين التجديد الثقافي والتحرر الفكري

ان التيارات الجديدة التي ظهرت خلال السنوات العشرين الماضية والتي تمثل بالنسبة اليها قفزة حاسمة في ميادين التغيير والتفكير والتحرر تتبلور ، اذا اردنا التلخيص والتسهيل حول الاعمدة الاساسية التالية :

(١) تعرية الهيكل الاستعماري واستراتيجيته في



## الحركة الفكرية التحررية المناهضة للاستعمار والاستعمار الجديد

أول تيار يهم تحليلنا تمثله الحركة الثقافية والادبية التي نمت بعد الحرب العالمية الثانية في افريقيا والتي كان على رأسها عدد من المناضلين والمفكرين والكتاب الافارقة السود والانتيين والعرب كذلك .

وكان لهؤلاء المثقفين تاريخيا الدور الاساسي في ايجاد الشكل والفحوى الثوريين للتيار التحرري في افريقيا وتسليط الاضواء اللاذعة على الهيكل الاستعماري ومنطقه وفضح استراتيجيته في الميدان الفكري والثقافي، ولم يكتف هؤلاء المثقفون بمواقف عدائية فقط وبالرفض الغريزي المحدود للتغلغل الاستعماري ( كما كان الشأن بالنسبة للحركة الوطنية عندنا ) ، بل استطاعوا أن يبينوا للشعوب الافريقية وللرأي العام العالمي واقع ومغزى الاستعمار الحقيقيين والتسلسل التاريخي والاقتصادي والحضاري الذي أدى اليه وكذلك التقنيات المعقدة التي حاول الاستعمار أن يستعملها من أجل ارساخ هيمنته واستغلاله .

فبين مثلا فراذ فانون في كتبه ومقالاته المتعددة طبيعة وعمق الخلل الذي يلحقه الاستعمار بالهياكل الاجتماعية والفكرية والتعبيرية للشعوب المستعمرة ، وان الاستعمار يكون عطبا في مجرى تاريخ الشعوب التي تفقد شيئا فشيئا قدرة التعبير عن نفسها ورؤيتها الخاصة للعالم والاشياء والمستقبل ، فالاستعمار ينفي تمام النفي امكانية ثقافات في البلدان المستعمرة ، وكما قال ايمي سيزير في هذا الموضوع : ان النظام السياسي والاجتماعي الذي يمنع شعبا من تقرير

الميدان الثقافي والفكري وتبين اساسه العنصري .

(٢) ندد فكرة الثقافة الشمولية وفكرة الحوار المزعوم ما بين الثقافات والتأكيد على حقيقة الثقافات الوطنية .

(٣) التأكيد على الطبيعة الطبقيّة لكل تيار ثقافي أو فكري .

(٤) التأكيد على أن التغيير الثقافي والفكري الحقيقيين متوقفان على تحرر قدرات الجماهير الخلاقة وبالتالي دحض كل نظرية نخبوية وكل محاولة وصاية أو استحضان اتجاه الجماهير .

(٥) التأكيد على أن التسلح بنظرية علمية مسيسة ضروري للاطاحة بالاستغلال الفكري ولقفزة كيفية في ميدان الخلق والتعبير .

(٧) التأكيد على أن التغيير الثقافي والفكري منوطان بقرار وممارسة التغيير الاجتماعي والسياسي وان الثقافة الجديدة تتكون في غليان الكفاح التحرري .

وهذه الافكار والاستنتاجات تكون كلها نقدا دقيقا ورد فعل شامل لاطاوع ومخلفات كان ولا يزال يمثلها :

(١) الفكر التقليدي والتيلوجي

(٢) الفكر المثالي والبرجوازي والتقنراطي

(٣) الاديلوجية الاستعمارية

(٤) الثقافة البرجوازية الغربية المتشعبة بفكرة تفوقها وشموليتها والمعرضة كمرجع أكيد وكمبراس على الثقافات الاخرى .

مصيره يقتل في نفس الوقت القدرة الخلاقة لهذا الشعب » -

ولقد استطاع هؤلاء المثقفون أن يظهروا بطريقة علمية زيف كل محاولة تهدف ، في اطار الوضع الاستعماري ، الى نوع من الزواج الثقافي والازدواجية مبينين أن السياسة الاستعمارية في الميدان الثقافي كانت تشكل العمود الفقري لسياسة الاستغلال الاقتصادي واستغلال الطاقة البشرية المحركة ، وأنها وليدة تفكير عنصري مبني قبل كل شيء على احتقار ونفي تامين للثقافات الافريقية . فلم يكن من الممكن بتاتا أن يكون هناك زواج في وضع الاجهاض ، والتدمير لكل المقومات الفكرية والثقافية الافريقية .

وكان قانون في محاضرة القاها عام ١٩٥٦

بمناسبة انعقاد أول مؤتمر للكتاب السود في باريس قد حلل بتدقيق هذا الاساس العنصري للوضع الاستعماري حيث قال : ان العنصرية تظهر في عملية تبسيط الآخر . فمن جهة يقرر المستعمر (يكسر الغين) ان هناك ثقافة (أي الثقافة الغربية) لها طابع الدينامية والازدهار والعمق ، ثقافة في تحرك وتجديد مستمرين ، ومن جهة أخرى يجد في الثقافات المستعمرة (بفتح الغين) خاصيات فقط ، اعجوبات ، أشياء ، لا بنيات » .

ومن هذا المنطق ، تنطلق الاديلوجية الاستعمارية الى فرض الثقافة الغربية والفكر الغربي كحل لحالة « همجية وفطرية » الشعوب المستعمرة . وهذا الفرض يكون في رأيها عملية انقاد انسانية وعملية ترقية فكرية وحضارية للمستعمرين . وتقدم الاديلوجية

الاستعمارية من أجل ذلك ، ولا سيما للنخب الافريقية التي تكونها المدرسة الاستعمارية عددا من القيم الشمولية الانسانية (أي القيم الغربية) كقيم ثابتة وناجعة ، لها اقدمية ، وذلك لكي تتيقن تلك النخب من ان الثقافة الغربية هي الوسيلة الوحيدة للخروج من همجية عصر ما قبل الاستعمار وللالتحاق بركب الحضارة الشمولية .

وقد تصدى المثقفون الافارقة الى هذا المنطق لفسخه ولتعرية انطلاقاته الاستراتيجية ولتبين علاقاته بواقع الاستعمار المموس . فبينوا أن الهمجية الحقيقية في الميدان الثقافي هي الواقع الاستعماري نفسه ، فلا يمكن لاي ثقافة ان تتبلور وان تساهم في تكوين الثقافة الشمولية المقبلة اذا كانت في حالة تشويشه وتعسف والا اذا انطلقت من معطيات وقيم خصوصية ، اي التاريخ والانسان والثقافة والارض الافريقية .

أما فيما يتعلق بمرحلة الاستقلالات ، فقد ركز هؤلاء المثقفون نضالهم الاديلوجي على معطيات ، لها ارتباط منطقي بالمرحلة السابقة ، وتكون اليوم ، في معظم الدول المستعمرة فيما قبل ظاهرات مشؤومة . فبينوا أن المعركة الفكرية لا تنتهي بانتهاء الوضع الاستعماري المباشر وبمجرد تسليم السلطات ورفع الاعلام الوطنية . فان الاستعمار الذي يخرج من الباب الكبير ، يدخل من النافذة ، فيتزيا بأقنعة مكثفة ويكون شعارات جديدة مثل التعاون الثقافي والحوار الضروري ما بين الثقافات الخ . . . ليستعيد سيطرته القديمة وليستغل الشعوب الافريقية ويستحود عليها فكريا وثقافيا ، باسم الصداقة ومشاريع التنمية والمساعدة والتفتح على المعرفة والتجارب الاخرى .



وهذه الاسس الجديدة لن تتوفر اذا لم يتحمل مثقفونا وخلقونا مسؤوليتهم في مناهضة الاستعمار الاستعمار الجديد وفي الرد عن مناوراته ، واذا لم يجعلوا من طرق تعبيرهم آلات لنسف الزيف ولتفجير ، من الداخل ، كل المركبات وكل الاستيلايات .

### العنف الثوري والثقافة الجديدة

لقد رسمت الحركة التي تحدثنا عنها الاطار النظري لمناهضة الاستعمار والاستعمار الجديد في ميدان التجديد الثقافي والتحرر الفكري ، كما قدمت هذه الحركة نماذج ثقافية جديدة مطبوعة بطابع الغليان الثوري ، مشحونة بأصوات الشعوب المضطهدة وبرزت الى الوجود حواس وتطلعات الانسانية المسحوقة فمهدت الطريق الى الحركات التي تلتها .

41 ان الحركات الوطنية التحررية والحركات الثورية التي تفتح اليوم قلعات الامبريالية في العالم قد استفادت من هذا العمل التوضيحي كل الاستفادة . فأصبحت قادرة على استيعاب أشمل لمعطيات الامبريالية الثقافية وكذلك لطرق نسف هياكلها واقتلاع جذورها غير أن هذه الحركات الاخيرة ، استطاعت أن تتجاوز حصيلة الحركة الاولى نظرا لمعطياتها وظروفها النضالية الخاصة ، نظرا للظرف التاريخي الحاسم الذي تكونت فيه ، فلقد استفادت هذه الحركات ، علاوة عما سبق ، من تجارب الحركة الثورية العالمية في الميدان السياسي والاديلوجي وكذلك من تجربة مرحلة الانتقال نحو تحقيق الاشتراكية في بعض البلدان التي استطاعت شعوبها ان تقضي نهائيا على السيطرة الامبريالية والبرجوازية .

وفي هذه المرحلة ، تتكون التباسات خطيرة عند رجال الثقافة الذين يفقدون كل يقظة وكل روح نضالية وذلك ناتج بطبيعة الحال عن عدم وعي عميق بأسس ظاهرة الاستعمار وباستراتيجية الاستعمار الجديد .

وبين المناضلون الافارقة انه اذا كان ليس من الممكن في عهد الاستعمار اي حوار أو ازدواج ما بين الثقافة الاستعمارية والثقافة المستعمرة ، ففي عهد الاستقلالات . أيضا ، هذا الحوار والازدواج ليس بالممكن ولن يتم (اذا ما كانت تجارب في هذا الاتجاه) الا بعرقلة الثقافات الوطنية ودمجها في اطار الثقافة الغربية البرجوازية . فثقافتنا ليست مستعدة في الاوضاع الراهنة لاي حوار مع الثقافة الامبريالية المهيمنة .

لـ س . سنغور في تشكيل ثقافة افريقية - لاتينية مثلا لا يعبر الا عن الواقع الملموس للتبعية السياسية والاقتصادية .

ازاء هذا الزيف الجديد وهذه الاستيلايات ، بتحتم على المثقفين الافارقة أن يتخطوا قفزة فكرية جذرية تكمن فيما قال قانون : « طلاق الغرب » وفي احباط كل مركب نقص اتجاهه ، والتأكيد على المبادئ الاساسية التالية :

- حق المبادرة الفكرية والمسؤولية
- قرار الاخذ على العاتق لثقافتنا ومجتمعنا
- اعادة تقييم وعملية غربلة ثقافتنا والدفع بها الى تركيب جديد يضمن تحررها النهائي .

ان الحركة الاولى التي تحدثنا عنها تكونت في المرحلة التاريخية التي شاهدت انطلاق الحركات التحررية الوطنية بقيادة البرجوازية والذي طغا فيها الصراع مع الاستعمار على الصراع الطبقي . أما الحركات التي نحن بصدها ( حركة التحرر في المستعمرات البرتغالية ، في فلسطين والخليج العربي ، كفاح شعوب أميركا اللاتينية والشعب الافريقي الامريكي الخ ... فهي حركات أكثر جذرية حيث أنها لا تقتصر على الصراع مع الامبريالية والفاشستية الجديدة ، ولكنها تكافح كذلك لكي لا تفقد قيادة الحركة من يد الطبقات الثورية التي باستطاعتها ، عند تحقيق التحرير ان تحقق المجتمع والثقافة الديمقراطيةين والشعبيين . ولقد التفتت هذه الحركات منذ البدء الى أهمية النضال في الجبهة الثقافية وتمكنت أن تحدد في اطار الكفاح السياسي والمسلح دور الثقافة الثورية وان تبلور طرقا جديدة للتعبير .

ان هذا الارتباط العضوي ما بين الكفاح الاديلوجي والسياسي والمسلح والكفاح من أجل بناء ثقافة مناهضة للامبريالية ، ديمقراطية وشعبية يجعل من حركة التحرر الراهنة في منطقة الزوابع أحد المحاور للثقافة الجديدة والتحررية . « ان الثورة ، كما يقول ماريو دي أندراد ، أحد قادة الحركة الشعبية لتحرير انغولا ، هي العمل الشعري الاسمي » .

معنى ذلك أن الثورة هي في حد ذاتها طاقة تغيير شاملة . فكما حاولت الامبريالية أن تنفي وتعطب ثقافات الشعوب المستغلة ، فان الثورة تلحق عطبا جسيما بالجهاز الامبريالي مهشمة بذلك جميع اركانه .

وانها تفجر في نفس الوقت الطاقات الخلاقة لدى

الشعوب (التقنية - العسكرية - الثقافية) . ففي اطار الكفاح الجماهيري والكفاح المسلح تتكون شيئا فشيئا الثقافة الجديدة ويظهر الانسان الجديد .

ان العنف الثوري هو الذي يحل مشكل الثقافة أكان هذا العنف يتجسد في الصراع الطبقي الثوري او في حركة التحرر الديمقراطية والشعبية . وحلم المثقفين البرجوازين بخلق ثقافة جديدة خارج الصراع الطبقي والكفاح التحرري يدل في العمق على خوفهم من الجماهير ومن النضال - فحرية التعبير التي يطالبون بها « والثورة الثقافية » التي يتمشدقون بها ما هي الا مظاهر من طموحهم الى تسلق الدرجات الاجتماعية .

فالثورة الثقافية الديمقراطية والشعبية التي تتكون الان في جميع البلدان التي تخوض فيها الشعوب نضالات عنيفة ضد الامبريالية والانظمة الاستعمارية الجديدة والفاشستية الجديدة تعبر عن وعي الجماهير بطاقتها المحركة للتاريخ وبقدرتها على تحويل العالم .

ان الثقافة الثورية الجديدة في انغولا وفلسطين وامريكا (الاحياء الشعبية التي يسكنها الافارقة الامريكيون وغيرها تشكل حسب التعبير الذي كان قد أعطاه لينين « دولبا وعجلة من ميكانيك الثورة العام ، أنها تكون عنصرا هاما من قضية الثورة » - ان المناضل أو الفدائي الذي يحمل البندقية اليوم يعلم جيدا أنه يقاتل من أجل الثقافة كذلك ، فالكفاح التحرري الذي يهدف الى القضاء على استغلال



٤) انتزاع الثقافة من ايدي البيروقراطية  
والبورجوازية

٥) خلق ثقافة ثورية من ولابل وتحت قيادة العمال  
والفلاحين والجنود .

وقد انطلقت هذه الثورة بعد أن أخذ القادة  
الصينيون يسلطون النقد اللاذع على بعض الدوائر  
والانتاجات الادبية والمسرحية وكذلك على وزارة  
الثقافة التي وصفها ماوتسيتونغ بأنها : « اذا ما بقيت  
على حالها بدون تغيير ، يجب تغيير اسمها بوزارة  
الاباطرة والملوك والجنرالات والوزراء ، او وزارة  
النوايا المدلّين والحسناوات ، او وزارة الموتى  
الاجانب » ودعى القادة الصينيون الى تعبئة جماهير  
والى تفجير الطاقات الخلاقة والتعبيرية لكل الجماهير  
الشعبية . وكانت من بين الشعارات المطروحة : النقد  
العلني ، والتعبير الحر والجماعي ، جرأة التكلم ،  
جرأة التفكير ، جرأة الخلق ، وفصح كل محاولة  
تهدف الى قمع الجماهير فكريا .

وعلى هذا الخط ، اندلعت الثورة الثقافية  
الصينية فانتشرت في كل انحاء البلاد المصقات  
الحائطية التي أخذت تعبر عن تفكير الجماهير وعن  
قدرتها الخلاقة والتي فضحت كذلك محاولات الرجعية  
والبيروقراطية من أجل استعادة مكانتها في الميدان  
الثقافي كما حاولت التغلغل في أجهزة الحزب والدولة  
لإعادة سيطرتها ، هكذا يتبين ان الثورة الثقافية كان  
هدفها الرئيسي هو احباط مخطط البرجوازية الذي  
كان يهدف الى انتزاع السلطة من الطبقات الثورية  
وبالتالي تعزيز وتحريك جديد لدكتاتورية البروليتاريا

الانسان للانسان وتمكين الجماهير الكادحة من وسائل  
الانتاج والسلطة السياسية يهدف في نفس الوقت  
الى تكوين الانسان الجديد ، المتمتع بجميع قدراته  
العقلانية منها والحسية ، وهذا يدل في نهاية التحليل  
على الارتباط الجدلي ما بين الثورة السياسية والثورة  
الثقافية ويشير الى أن التغيير في الميدان الثقافي لا  
يمكن أن يتم الا بممارسة التغيير السياسي .

### الثورة الثقافية البروليتارية الصينية

نتطرق الان الى التيار الثالث ، الذي يهتم في  
الواقع تجارب عديدة ، لكننا سنركز التحليل على  
مثال الثورة الثقافية البروليتارية الصينية .  
وقبل ذلك لابد أن نلاحظ أن الصحافيين المحترفين  
عندنا ومثقفينا الذين يخصصون صفحات  
عديدة للحديث عن « جائزة نوبل » أو غير هذه  
المواضيع لم يشيروا قط لهذه التجربة الكبيرة التي  
بدأت تطور الان فكر وثقافة مئات الملايين من البشر ،  
ولا يمكن ان يفسر ذلك الا كموقف اتجاه  
تجارب معينة ويدل على الحدود الفكرية السائدة في  
بعض الاوساط .

لقد انطلقت الثورة الثقافية منذ سنة ١٩٦٦ ،  
وكان هدفها حسب القادة الصينيين :

١) ممارسة دكتاتورية البروليتاريا الشاملة في  
البناء الفوقي بما فيه جميع مجالات الثقافة  
٢) استئناف بحدة جديدة الصراع الطبقي والصراع  
الاديلوجي .

٣) نقد والاطاحة بمخلفات الثقافة والاديلوجية  
البرجوازية

يجعل من هذه الممارسة ، المعرفة الحقيقية والنظرية  
الصائبة .

وقد انتبه رواد الثورة الثقافية الى هذا الجانب  
وكان من جملة التوجيهات ضرورة ما سموه  
« بتربية المثقفين ، أو إعادة تربيتهم على أساس  
أهداف الثورة الثقافية البروليتارية .

وباختصار ، فقد بينت هذه الثورة الامكانيات  
الجسيمة لطبقات كانت ولا تزال في معظم المجتمعات  
محرومة من التعبير عن ذاتها بنفسها ومن امكانية  
خلق ثقافتها الخصوصية نظرا للقمع الشامل التي  
تسلطها عليها الطبقات الحاكمة ، فكما قال ماو : « ان  
الجماهير هم الابطال الحقيقيون ، أن الجماهير  
الشعبية لها قوة خلاقة لا تحد ان الشعب والشعب  
وحده ، هو الطاقة المحركة ، هو مبدع التاريخ الكوني »  
والمشكل بالنسبة الينا واضح : اما أن نساهم في  
انعتاق الجماهير وفي أخذها على عاتقها الثقافية  
واما أن نسترسل في عملية الحضانة والوصاية  
اتجاهها ونتمسك باحتكار الثقافة والفكر .

وهذه القفزة التي ندعو اليها لا تأتي الا بمقاومة  
صريحة للفكر النخبوي والتقنقراطي وبالتفكير الذي  
يحاول خلق درجات في ميدان التعبير وبأن يضفي  
على ثقافة الشعب صيغة السذاجة والفلكلورية  
المحضنة .

وهذه القفزة الكيفية منوطة بالربط الضروري  
ما بين النظرية والممارسة العملية وبالتزامات دقيقة  
تجاه طبيعة المجتمع والحكم في المستقبل ، انها

في جميع الميادين الاقتصادية والسياسية والادلوجية .  
ومنذ ١٩٦٦ الى الآن ، وفي الميدان الادبي  
مثلا يمكن القول بأن الانتاج الشعري يقدر بمئات  
الملايين من القصائد ، عبر كل واحد فيها عن جرائه  
في التكلم والتفكير والخلق ، كما يدل على ذلك هذا  
النموذج من تأليف عامل صيني بسيط :

المنارة

الخط العام منارة مشعة

تضيء لنا جيدا درب تقدمنا

الامس كان ما يزال معتمرا قبعة المتعلم واليوم لا  
قبعة : نشمر عن سواعدنا وقرب الآلات نكتب الاشعار !  
والشعراء هم نحن - نحن العمال .

وما يمكننا أن نستنتج من هذه التجربة التي  
عمت ميادين مختلفة ، ولا سيما التعليم (راجع مقال  
الثورة الثقافية في جامعة بيكين . العدد ٢٠/٢١  
لمجلة انفا بالفرنسية) ، أن مفهوم الثقافة والمثقف  
مفهوم نسبي جدا ، وان مشاكل مثل تبسيط الثقافة أو  
النزول عند مستوى الجماهير مشاكل مفتعلة  
مصطنعة ، فالامر في الواقع لا يتعلق بذلك ، بل يكمن  
في الاقتناع أو عدم الاقتناع بأن الثقافة ليست هي  
التي تنزل من فوق ، بل هي التي تصعد من اعماق  
الجماهير وبان المثقف ليس هو الحاصل على  
الشهادات ، والمعرفة الجامعية الواسعة ، والمحيط  
بالنظريات المتعددة ، بل هو الذي يستطيع الوصل  
المستمر ما بين النظرية والممارسة العملية ، الذي



منوطة كذلك بالنسبة للمثقفين البرجوازيين الصغار بعملية انتحار اديولوجية وطبقية تؤهلهم الى الانغماس في بحر الجماهير والى اعتناق اديولوجيتها الثورية .  
الحركة الطلابية الاوربية : نقد الثقافة والجامعة

### البرجوازية

نتطرق الان الى التيار الاخير في هذا العرض وهو التيار الطلابي في اوربا والذي كان قد ادى فيما ادى الى حوادث مايو ١٩٦٨ في فرنسا وقبلها في المانيا وايطاليا الخ ٠٠٠ ومن الملاحظ هو ان هذا التيار قد اتسم بطابع التفكير والخلق الجماعيين . فالانتاج الضخم لهذا التيار لم يكن انتاج مفكرين بارزين او كتاب او فنانين مشهورين .

وبعد أن استطاع الحكم البرجوازي أن يقمع هذه الثورة ، أخذت الجامعات الاوربية ودور النشر الرأسمالية والاساط المثقفة تنهال على حصيلة هذه الاحداث من أجل تقييمها وتاريخها والاستحواذ على اكتشافاتها .

ولكن رغم هاته المحاولات ، فان أفكار مايو ٦٨ قد كونت حصيلة مستقلة تمام الاستقلال عن الاديولوجية المهيمنة في الغرب الرأسمالي ووضعت الاسس الحاسمة لانبعاث فكر جديد وثقافة جديدة .

ويصعب علينا أن نلخص كل الافكار الجديدة التي طرحت في كل الميادين والقطاعات لانها تصدت الى جميع معطيات ووقائع المجتمع والثقافة والهياكل السياسية والاديولوجية . لهذا سنقتصر على بعض العناصر الاساسية .

فمما تطرق الى نقده الطلاب الاوربيون الفكر والثقافة الغربية البرجوازية . فوضحوا أن مشكل الثقافة الغربية ليس كما يزعم البعض مشكل أزمت نفسية وأخلاقية وحضارية او أزمة التخاطب واللغة الخ ٠٠ بل هو واقع السيطرة الاديولوجية التي تمارسها البرجوازية في كل الميادين وعلى كل أجهزة التعبير والتواصل . فليس من الممكن في هذا الوضع أن تتبلور ثقافة جديدة الا اذا تم تحطيم الجهاز الرأسمالي . وبين الطلاب والمثقفون المتمردون أن جل الحركات الادبية والفنية والفلسفية التي ظهرت في الغرب في هذا القرن لم تأت بشيء جديد فيما يتعلق بانعتاق الثقافة والفكر من دائرية الاقتصاد الرأسمالي ومن قبضة الاديولوجية البرجوازية ، فكل هذه الحركات ولو كانت تبين في بعض الاحيان ولا سيما في بدايتها نوعا من التمرد والخصايات ، لا تلبث أن تندمج في منطق الجهاز العام وفي مداره وتصبح جزءا لا يتجزأ من الجهاز نفسه .

فالمشكل ليس مشكل ايجاد طرق جديدة للتعبير والتفكير (السريالية - القصة الجديدة - مسرح العبث - الشعر الحرفي أو البصري الخ ٠٠) بل هو تحديد قاعدة انطلاق التجارب الجديدة واختيار طرق المواصله والتبليغ والالتزام بطبقة معينة .

وبما أن الحركة الطلابية استطاعت ان تحرك الطبقة العاملة ولا سيما في فرنسا حيث شن ما يقرب من ١٠ مليون عامل الاضراب أبان الاحداث) أخذ العمل الثقافي والكفاح الاديولوجي اتجاها حاسما وطرحت المشاكل الحقيقية ، ولنعطي مثالا حيا عن

هذا الارتباط وعن مفعوله اخترنا ما قام به طلبة وفنانو مدرسة الفنون التشكيلية بباريس . تقرأ في مقال عن نشاطهم : « منذ احتلال مدرسة الفنون الجميلة ، أخذ الطلاب والفنانون التقدميون يسخرون كل امكانياتهم من أجل الكفاحات التي يخوضها العمال يوميا ، ان هذا العمل ليس عمل مخبر : فالعمال يأتون الى المدرسة بالشعارات ، ويناقشون مع الطلبة الفنانين وينقدون الملصقات التي انتجت ثم يوزعوها في الخارج ، وعند مدخل المعمل يقرأ ما يلي : ان العمل في المعمل الشعبي لهو مساندة ملموسة للتيار العظيم لاضرابات العمال الذين قد احتلوا المعامل من أجل مقاومة الحكم الا شعبي ، فكل فرد يسخر قدراته من أجل كفاح العمال ، يعمل في الواقع لنفسه ، لانه ينفذ ، بالممارسة العملية على حكم الجماهير الشعبية التربوي .

46

هكذا فان أسلوب العمل البرجوازي قد انقضى : فمشاريع الملصقات تحقق جماعيا بعد تحليل سياسي للاحداث اليومية ، او بعد مناقشات عند أبواب المصانع ، ثم تعرض هذه الملصقات على الجمعيات العامة في آخر النهار . وهكذا نقرر هل الفكرة السياسية صائبة ؟ هل الملصقة تبلغ الفكرة جيدا ؟ بعد ذلك فقط ، تنجز المشاريع المقبولة من طرف فرق تعمل بدون انقطاع ، ليل نهار . ان الكفاح مستمر ، وشيئا فشيئا تنشر الافكار السديدة بطريقة هذه الملصقات . والطلبة والفنانون التقدميون يعبثون انفسهم لخدمة كفاح الشعب ويتعلمون على يده ويصححون افكارهم باتصالهم مع الجماهير » . وخلال ثورة مايو ٦٨ تعددت مثل هذه التجارب في مختلف الميادين ولا سيما في ميدان المسرح والشعر والصحافة والتعليم ،

والشيء الذي يلفت الاهتمام والذي أكد عليه الجميع أكان ذلك أثناء الاحداث أو بعدها ، هو ان ثورة مايو مكنت الجماهير الطلابية والعمالية من ممارسة الحرية والكلمة ، وهذه الممارسة اظهرت للجميع الطبيعة القمعية للمجتمع الرأسمالي ومجتمع الاستهلاك ، وبينت كذلك ان كل ما كان يسمى ثقافة كان في الواقع أداة ارغام على الصمت وعدم المسؤولية في التعبير .

### نقد الجامعة البرجوازية

ومن جهة أخرى تصدت الحركة الى الجامعة لنقدها ولتوضيح مدى ارتباطها هي الاخرى بالهيكل البرجوازي القمعي ، ومن أحسن التحاليل التي يجب الرجوع اليها دراسة كتبها الطلبة الالمان يمكن تلخيصها كما يلي :

● ان الجامعة التي تدخل في اطار الجهاز الرأسمالي فهي جامعة طبقية .

● ان العلم الذي يلقي في الجامعة (عكس ما يزعم العلماء والمفكرون البرجوازيون) هو علم سياسي محض : انه يناقض الثورة .

● ان وضع الطلبة في هذه الاحوال ملتبس جدا ، فانهم يجدون أنفسهم في وضع كلاب الحراسة للاديلوجية البرجوازية ويشاركون في الواقع ، أرادوا ذلك أم لم يريدوه في اهداف الجامعة السياسية .

وان نلح شيئا ما على هذا النقد فلنشير لاهميته بالنسبة الينا ، ولا سيما وان جامعات الدول التي كانت مستعمرة من قبل ، ليست في الواقع الا صورا مبتذلة للجامعات الغربية التي بين الطلبة الاوربيون مدى لا عقلانيتها وطبيعتها الطبقية والاديلوجية القمعية .



ويمكن القول في الاخير ان هذه الافكار ، وضعت في الواقع ارضية جديدة ونوعا من البرنامج - الميثاق لحوار حقيقي ما بين الغرب المناضل الحي والشعوب الاخرى . فبقدر ما نحن نلح على استحالة أى حوار مع الغرب الامبريالي المهيمن بقدر ما نرى في الافكار التي ذكرناها قاعدة ثمينة لحوار جدي ومسؤول يساهم بصفة فعالة في بناء مشروع الثقافة العالمية المتحررة .

### خلاصة

سوف نكتفي بهذا القدر من الامثلة .

والمقصود على كل حال كان هو تبين ضرورة الخروج من مناهج ومصطلحات ومتع فكرية كانت ولا تزال تؤثر بمغناطيسيتها الخارقة على فكرنا . والمقصود كذلك هو توضيح وتحديد الاسس الجديدة التي يمكن أن نبني عليها انطلاقا الجديدة وطموحنا الى ثقافة متأصلة بواقعنا التاريخي والملموس ومنفتحة بثقة تامة على التيارات التحررية ، هذه الثقافة التي

ستعلن ميلاد الانسان المغربي العربي الجديد ، الواعي والخلق .

وهذا لا يتطلب فقط التحليلات والمناظرات والمحاضرات ، بل يستلزم التعبئة والشجاعة الفكرية وخوض بحر الجماهير العنيف والمضى .

لهذا سنتمم عرضنا بكلمة لامي سيزير حيث قال : « دورنا نحن ليس هو أن نضع مسبقا تصميمات لثقافة المستقبل ، ان دورنا متواضع ، ويكمن في الاعلان عن مجيء من له الجواب : الشعب ، شعوبنا التي ستتحرر من قيودها ، وعبقريتها الخلاقة عندما تنعتق من أسباب التجميد .

اننا اليوم في حالة بلبلية فكرية ، ودورنا أن نصرح : حرروا ذاك الجبار الذي يمكنه وحده أن يحول البلبلية الى تكوين جديد ، هذا التكوين الذي يستحق وحده ان يوصف بكلمة ثقافة .

اننا هنا لنقول ونكرر : اعطوا الكلمة للشعوب ، دعوا الشعوب تدخل خشبة التاريخ الكبيرة . »



# الخزانة التقدمية

## شبياتنا فى افق الثمانينات (لمحمد الحبابي)

نقد : ابراهيم السرفاتي

للنمو ، لمرض الكساح وآفة سوء التغذية . ويعتمد المؤلف في ذلك على بحوث المنظمة العالمية للصحة ، هذه الدراسات التي تقول ، فيما يخص وضعية الاطفال من ٦ أشهر الى ٢ سنوات : « هنالك حوالي ١٥ ٪ من الاطفال يهددهم الموت نتيجة سوء التغذية ، كما أن نسبة ٢١ ٪ منهم هي التي تتوفر فقط على الغذاء الكافي » .

وهو كذلك نداء موجه الى الشباب ورجال التقدم ، يحثهم على الثقة بالنفس وعدم فقدان الامل . كما نجد فيه التزاما بالمبادئ الاولى ، خصوصا عندما يذكر المؤلف الشباب بالمعركة التي لا زالت حديثة العهد والتي هزمت الحماية ، وبالابطال الذين أصبحوا رمز هذه المعركة .

لكن هنالك عبرة أخرى يجب استخلاصها من هذا الماضي ، وهنا يجب القول أنه اذا كانت إحدى مزايا الحبابي أنه بقي متشبعا بالايمان بالشعب وبالشباب ، فانه لم يستخلص الدروس من فشل جيل مثقفينا .

وليست « الماراة الكبيرة » التي يعبر عنها عبد

ليس من اليسير على الانسان انتقاد كتاب أحد الاصدقاء ، صديق بأعمق ما تحمله الكلمة من معاني ، جمعته به المعركة المشتركة ، ونفس الجهود ، ونفس الافكار التي لا زالت - فيما يخص الهدف الاساسي - هي نفسها الى اليوم . الا أن الشغف بالتقنية لم يمنع كاتب هذا المقال من تجاوزها ، وهكذا فأنا بين تيارين ذاتيين يتجاذبانني : الصداقة ووحدة الهدف من جهة ، والوعي من جهة أخرى بأن سبل وكيفية بلوغ هذا الهدف لا يمكن أن نجدها في التحليلات التقنية ، ولا في حب التقنية ، « التكنوفيلية » كما يقول العروي .

وهذا أكبر عيب في كتاب الحبابي .

انه صك اتهام ، بدون شك . . . وصك اتهام عنيف . لقد وصف بواسطة الارقام وبكيفية لا غبار عليها المأزق الحالي والركود الذي يتردى فيه الاقتصاد . بل أكثر من هذا ، لقد خصص صفحات للحديث عن مستوى الاستهلاك ، وتحدث عما لا تستطيع الارقام تبليغه : الجرم المرتكب ضد اطفال هذا البلد ، هؤلاء الاطفال الذين يتعرضون في سن الثالثة ، السن الحاسم



الرحيم بوعبيد في مقدمة الكتاب هي التي يمكن أن تقوم مقام نقد ذاتي . فاذا كان جيل المثقفين ، الذي لم يستطع فهم مشاكل الاستقلال في الوقت الذي كان يجب أن تفهم فيه ، يريد متابعة المعركة ، فإن أول واجباته هو الاعتراف بأخطائه وهفواته - أي أخطائنا وهفواتنا - واستخلاص دروسها .

وسواء ساهم هؤلاء أم لم يساهموا ، فإن النضالات التي سيكون من الضروري خوضها من طرف الجماهير والشباب ستنتهي لا محالة لنفس الهزائم ونفس المرارة ، اذا لم تستطع الاستفادة من عبر الهزائم السابقة .

وهذا بالفعل ما يمكن أن يقود اليه كتاب الحبابي . فالجزء البناء من الكتاب مطبوع بالاستيلاب ازاء التقنية . ولقد أكد العروي على هذا الاستيلاب لما وصف « التكنولوجيا » (حب التقنية) . فالتقنوفيلي ، يقول العروي « ينكر علنيا مميزاته الخاصة ، فالغرب بالنسبة له هو التقنية دون جمل ودون مضاعفات سوسيولوجية . فهو يعتقد بوجود تطور عام للانسانية دون أن يعيد النظر في أهداف هذا التطور ولا في سوابقه ، بل يعتقد تطورا له مقاييس كمية ، يطرح بنفسه وسائل تحقيقه ، وهكذا يصبح كل شيء مشكلا تقنيا : الاقتصاد ، السياسة ، حتى الحياة الخاصة » .

ولن نعيد الحديث هنا عن عواقب هذا الموقف ، التي أسهب العروي في الحديث عنها . وسنكتفي بالتذكير بالاستنتاج ، الذي اكده ودعمته نكسات البورجوازيات الصغرى العربية : ان الوعي التكنوفيلي

« يحمل في طياته بوادر حل عسكري » . اما عن ما انتهى اليه هذا الحل العسكري ، فذلك ما تؤكدته التجارب الواضحة لمختلف انظمة بورجوازية الدولة بالعالم العربي .

اذا فمن الضروري هنا القيام بالنقد ، ولو بصفة مختصرة للبراهين الاساسية التي ينطلق منها الحبابي والتي تشكل أساسا لتقنوفيليته . وهذه البراهين تعتمد على مفهوم الثورة العلمية والتقنية . ان مفهوم « الثورة العلمية والتقنية » هو الخليط الذي مكن مرتزقة الفكر واختصاصيي ماركسية السدول الاشتراكية الاوروبية والجامعات الغربية من «رادوفان ريشتا الى « غارودي » والى الايديولوجيين الوقحين للامبريالية من ريمون آرون الى جان فوراستييه وهرمان كاهن - من الالتقاء حول نفس المديح والتسبيح بحمد الارتزاق الفكري . ان مفاهيم المجتمعات « الصناعية » وما قبل الصناعية » وعهد المسيرين ، والهيكل التقنية ، والبيروقراطية التقنية ، ما هي الا الضباب الذي يبرر الرأسمالية ، ليجد على ظهر الشعوب ، امكانيات للفتاهم بين بيروقراطيي المجتمعات المدعوة بالاشتراكية والرأسمالية الاوروبية ، لصالح «أصحاب الياقات» .

فالعالم الثالث ، كما يسمونه ، يمكن أن تحل مشاكله ، حسب أكثرهم « انسانية » ، أمثال بيرووغارودي ، باقتصاد الصدقات والعطاءات ، هذه السياسة التي ستحل ، حسب مشروع روجرز ، مشكل « اللاجئين » الفلسطينيين .

نحن متيقنون أن الحبابي لا يرمي الى نفس الاهداف ، لكن كتابه يشكل - موضوعيا - عملية اضعاف ايدولوجي ازاء هذه المناورات .

وأوضح هنا كيف حاولت في أحد النصوص ، التي أوردتها الحبابي ، أن أوضح التعارض التام بين مفهوم مجتمع المبدعين كما يتبين من خلال أعمال ماركس في اسس نقد الاقتصاد السياسي ، والمفاهيم الضبابية لايدولوجي الامبريالية .

وقد أكدنا كذلك - وهذا واضح بالنسبة للشعوب التي تعاني من الاستغلال الرأسمالي والامبريالي والتي تكافح ضدهما - بأن المستقبل لا يمكن أن يكون في مجتمع معتمد على التبذير في أحد قطبيه وعلى الحياة الطفيلية في قطبه الآخر ، كما يحلم بذلك هرمان كاهن وجان فوراستييه .

ولنذكر هنا بأن ما يسمى بالثورة الصناعية قد اعتمد ، في مرحلة الرأسمالية المتصاعدة ، على ثلاثة قرون من النهب الاستعماري للعالم ، وأن الانفجار التقني راجع بنفسه الى تراكم الثروات التي تمت بهذا الشكل .

ان مرحلة تعفن الرأسمالية التي أصبحت نظاما عالميا للامبريالية قد رفعت الى مستوى لم يسبق له مثيل مستوى التناقض بين مقدرات المعرفة والابداع لدى القوى المنتجة والانحطاط والجرائم والعراقيل التي يخلفها هذا النظام .

من هنا ، وبواسطة مسلسل جدلي ، لا يستطيع المثقف البورجوازي ادراكه ، تخلق بذور تحطيم

الامبريالية من تعفن الامبريالية ذاتها ، تخلق شروط نفيها وتحويلها الى نقيضها .

وما هذه البذور الا تلك القوى المنتجة الاكثر استلابا : البروليتاريا ، في الطليعة ، الذي عرفه ماركس منذ ١٨٤٢ ، والشعوب المقهورة التي حيالينين ميلادها .

هذه القوى الاجتماعية هي التي تواجبهما ، كبوار ، الطاقات العلمية للمجتمع الجديد ، المجتمع الاشتراكي الذي يجسم حكم المنتجين ، لا تفنوقراطية اصحاب الياقات البيضاء .

ان « الثورة العلمية والتقنية » التي نلمس بوادرها ، لن تكون الا انفجار هذه القوى الخلاقة المعتقد من قيود الرأسمالية والثقافة البورجوازية . يستنتج من هذا أن الفلاح الفيتنامي والغدائي الفلسطيني يشكلان - وبصفة مغايرة تماما للاختصاصي الامريكي ذي الرأس البارد ، الذي يعمل في مؤسسة أمريكية - بنور رجال الغد .

مثال واحد : فالحبابي يتحدث باسهاب ، وفي صفحات ملؤها الاعجاب ، عن التقدم التقني في الميدان الفلاحي . هذا التقدم الذي تدعي الامبريالية الامريكية تحقيقه في الهند عن طريق عملية واسعة تسمى « الثورة الخضراء » ، اين هي النتائج ؟ ان الامر لا يتعلق في الحقيقة ، بالنسبة للامبريالية ، الا بعرقلة وتأخير كل « ثورة حمراء » التي تشكل الرد الوحيد على المجاعة والنهب .

أما فيما يخصنا ، فبإمكاننا ومن واجبنا ، وأكثر



نتاجا للظروف وللتربية وأن التحولات التي تطرأ عليهم ناتجة عن ظروف أخرى ، وتربية أخرى ، ان هذا المذهب ينسى أن البشر هم بالضبط الذين يغيرون ظروفهم وأن المربي هو بنفسه في حاجة الى التربية . ولهذا فهذا المذهب ينتهي الى تقسيم المجتمع الى فئتين احدهما فوق المجتمع (كما نجد ذلك عند روبرت أوين مثلا) .

ان مطابقة تغير الظروف مع النشاط البشري أو التغير الذاتي لا يمكن أن تقدر وتفهم الا بوصفها ممارسة ثورية . »

واننا لمقتنعون أنه في اطار هذه الممارسة الثورية سنلتقي من جديد بأولئك المثقفين البورجوازيين الصغار الذين يبقون ، مثل الحبابي ، مرتبطين عضويا بكفاحات وألام الشعب ، لكن عليهم أن يصححوا تفكيرهم بأنفسهم ، ان جيل الكهول من عمال وفلاحين وحرفيين الذين عانوا جسديا من الحرمان في عهد الاستقلال ، ومعهم الشباب المتعطش الى المعرفة والابداع ، سيعرفون من جهتهم ومن خلال نضالهم الملموس أن يبيلوروا الخط الصحيح .

من أي وقت مضى ، تصفية حسابنا مع سراب التقنوقراطية . فلقد عرف هذا السراب عصره المجيد في سنوات ١٩٥٦ - ١٩٦٠ . ولم يكن فبشله راجعا فقط الى التقاء القوى الخارجية والرجعية الداخلية ، ولكن أولا الى عيوبه الداخلية ، هل نعيد عملية الحرث ؟ هل نعيد مشروع محمد الفاسي ؟

هل نعيد تجربة لجان التصميم الخماسي ؟ اذا !... على العمال والفلاحين والشباب المنبثق عن الجماهير الكادحة ، وفي غمرة المعركة التي ستحررهم من القهر ، أن يصنعوا ظروف تفتحهم الخلاق في كل المجالات الانتاجية والثقافية ، وأن يرسوا محل هياكل الدولة الاستعمارية الجديدة ، بكل أشكالها الاقطاعية أو التقنوقراطية وفي كل الميادين ، حكم الشعب .

الى الحبابي ، الذي لازال يحلم بتربية تنزل من فوق (ومن طرف من ؟ ) لتكوين شبابنا وجعله يفكر « تفكيراً عصرياً » ، نذكر بما كتبه ماركس في موضوعاته عن مادية « فويرباخ » البورجوازية :  
« ان المذهب المادي الذي يريد اعتبار البشر



# وثائق

دراسة تحليلية عن الوضع الاجتماعي في منطقة ظفار

الجهة الشعبية لتحرير الخليج العربي المحتل

## التركيب الطبقي والحالة المادية

### أولا : صفة المجتمع وموقعه من التاريخ :

هذا المجتمع يكاد أن لا تكون له صفة مجتمعية واحدة ومحددة نستطيع أن نسبها عليه بشكل مطلق دون أن نكون قد جافينا الحقيقة وتجاوزنا الواقع . فالتاريخ عرف عبر مسيرته الطويلة خمسة أنواع أساسية من المجتمعات البشرية إلا أن مجتمعنا هذا ينفي واقعه أن يكون معبر بشكل مطلق عن أي نوع من هذه الأنواع الخمسة للمجتمعات وهذا النفي عائد في نظرنا لسبب جوهري واحد وهو صغر حجم المجتمع ، أي قلة السكان فيه . إلا أننا مع هذا نستطيع أن نقول أن هذا المجتمع يمثل مرحلة وسطى واقعة بين النظام الرقي والنظام الإقطاعي فلا هو بالمجتمع الأول ولا هو بالثاني كما أنه في الوقت ذاته لا يقع خلفهما أو بعدهما ، إنه مجتمع حرفي زراعي بحث ، ليس به أي مظهر من مظاهر النشاط الإقطاعي أو الرأسمالي سواء في مجال التكديس الرأسمالي أو التصنيع والاستثمار ولا حتى الرأسمال التجاري

52

### ثانيا : التركيب الاجتماعي :

الفواصل الطبقيّة في هذا المجتمع غير واضحة المعالم فهو يقترب في تركيبه الاجتماعي من الصورة التي عرفت المجتمعات البدائية أي المجتمعات اللابيدية نظرا لشدة تخلفها وبدائيتها وصغرها . إلا أن هذا المجتمع يختلف عنها من حيث وجود الملكية الفردية أو الحكومية لوسائل الإنتاج مما أفرز فيه فواصل طبقية باهتة بين الفئات يمكن تسجيلها على النحو التالي :

١ - الطبقة الوسطى : وهي طبقة ناشئة ومتحلفة اقتصاديا وأدبيا إذا ما قيسَت بالمعنى المفهوم للطبقة الوسطى كما أنها محصورة ولا تستقطب إلا نسبة بسيطة من الشعب وتتألف من :

١ - فئة التجار ٢ - موظفو الحكومة ٣ -

المقربون وأصحاب المحسوبيات .



وانعدام التنظيم وعدم استقرار القوانين والاحكام وهو نظرا لاهميته في فرض ارادة السلطة وتنفيذها نراه يتمتع بقدر معقول نسبيا من الدخل المنتظم وان كانت غالبية من هؤلاء الموظفين تترك اعمالها في آخر كل يوم وهي لا تثق او تطمئن الى انها ستعود لتبشرها في صباح اليوم التالي ولعل صفة التنفذية المطلقة التي تصبغ كل اعمال هذا الجهاز مهما كانت تافهة وصغيرة هي التي تمد الكثيرين منهم بثقة الفئات الكادحة وتفتح معهم فرص التحالف مع هذه الفئات ومع قضاياها .

### ٣ - المقربون وأصحاب المحسوبيات :

وتشكل غالبية هؤلاء ان لم نقل كلهم طابورا خامسا مهترئا وغيبا ، يتبخر السخف والغباء ونتاجه الخيانة من كل مسام لشعرة في اجسامهم ، انههم يعطون عن أنفسهم صورة كاريكاتورية مضحكة لعمال الجاسوسية وتنظيمات الطوابير الخامسة ، انهم غربان سوداء جمعتها على جيف العمالة المصلحة المادية الضيقة لتلتف على الرائحة النتنة ، تنعق في صخب وفوضى وهي تقتتل على مواضع الدود والصديد . ان هذه الفئة هي أصغر الفئات الثلاث وأقلها تأثيرا في سير حياة المجتمع الاقتصادي فهي بالضبط حفنة طفيلية تعيش على حساب حياة الآخرين

هذه هي الطبقة الوسطى في المجتمع بشعبها الفئوية الرئيسية الثلاث . ولقد صنفنا هذه الفئات الثلاث تحت اسم الطبقة الوسطى معتمدين في ذلك المقياس الاقتصادي والمادي فقط (اي مستوى المعيشة) لانه يشكل المقياس الاساسي السليم ان لم يكن الوحيد

هذه الفئة بسيطة العدد جدا اذا ما قيسست بالمجموع الكلي للسكان واذا كان في مقدورها حاليا ان تغطي حاجات الاهالي الاستهلاكية واذا كنا نلاحظ بوضوح الركود البادي في حركة البيع والمعدل التافه لما يستطيع التاجر ان يبيعه في اليوم فان مرد ذلك ليس بالطبع الى كثرة عدد المتاجر او تضخم القطاع التجاري بين السكان بل هو في الانخفاض المروع للقُدرة الشرائية عند الاهالي وفي غلاء المواد الاستهلاكية ذاتها . ان هذه الفئة تنتمي كلها وبدون استثناء الى فئات (التجار الصغار) بكل ما تحمله كلمة الصغار من معنى ودلالة ان دورها الاقتصادي هو في جوهره دور تكميلي مختصر لا يعدو دور (السمسرة) والوساطة بين البرجوازية التجارية في عدن وجمهور المستهلكين هنا هذا الجمهور الذي يصح مفروضا عليه كمستهلك ان يدفع الربح مرتين بدلا من ان يدفعه مرة واحدة . ان هذه من التجار الصغار نظرا لما تكابده من ضغوط اقتصادية خانقة واخذا بواقعها المادي الهزيل تشكل في غالبيتها حليفا طبيعيا للثورة وقواها مع الاخذ بعين الاعتبار ان غالبيتها تعتبر نفسها بدون شك أكثر حرية بملكيته .

### ٢ - موظفو الدولة

هذا القطاع الصغير من المجتمع يشكل جهازا بيروقراطيا على نحو مصغر الا انه جهاز منفصل تماما ، تشله الرهبة ومركزية الحكم الفردي الاورستقراطي ويربك أعماله تداخل المسؤوليات

في التصنيف الطبقي للفئات ايا كانت القيم والمستويات الاخرى لهذه الفئات متعاضدة او متفاوتة .

وليس من العسير في شيء ان ندرك مدا عمق واتساع التفاوتات والفروقات الاخرى الموجودة بين فئات الطبقة الوسطى بالذات في هذا المجتمع ويكفي ان ندرك ان وحدة المصلحة الطبقية نفسها غائبة أو منتفية عن هذه الطبقة اختفاء يكاد يكون كلياً نتيجة لوجود مستويات متفاوتة في درجة الوعي والتفكير وميول وولاءات متنافرة . كما أن وجود التقارب الطبقي الكبير في المجتمع قد ساعد كثيراً على وجود مثل هذه الظاهرة من تراخي في الولاء الطبقي واهتراز في العلاقات والصلات الطبقية أو حتى الفتوية .

### ب - الطبقة الكادحة :

هذه الطبقة هي الغالبية الساحقة من الشعب وهي التي تتحمل شأنها شأن كل طبقة تحتية كادحة كل اعباء الانتاج الاجتماعي والخدمات الشاقصة المرهقة ، واذا كان العمل الانتاجي في هذا المجتمع محدوداً ومحصوراً الا ان التخلف الكبير في وسائل الانتاج وبشاعة الاستغلال الاقتصادي الذي تمارسه الدولة على الطبقة القائمة على هذه الوسائل قد ضاعف كثيراً من عبء العمل الملقي على هذه الطبقة وانهكها ويحاول الحكم الفردي الذي يمارس تجاه هذه الطبقة دور مالك الرقيق والاقطاعي الرأسمالي في آن واحد يحاول جاهداً ان يوسع امتدادات هذه الطبقة في المجتمع ويزيد في مساحتها وذلك عن طريق الخنق الاقتصادي والكبس الذي تمارسه الدولة على الطبقة

الوسطى مع العمل على ابقاء الطبقة الكادحة كلها عند مستوى (الدخل الكاف) دائماً وذلك لان هذا التصرف يضمن لها - أي السلطة - استمرار الدخل الناتج عن الاستغلال على شكل ضرائب تعسفية ورسوم جمركية وغيرها بالاضافة الى ان هذا يخدم اهداف سياسية واجتماعية اخرى سنأتي الى ذكرها . واذا كانت سياسة الحكم لم تنجح في توسيع امتداد الطبقة الكادحة عن طريق الكبس على الطبقة الوسطى وعلى التجار بالذات فإن ذلك عائد بالدرجة الاولى الى تدخل عنصر استثنائي خارجي وهو (الهجرة) . فهذا العنصر لعب بالنسبة للطبقة الكادحة وحدها دورين - بارزين أو دوراً مزدوجاً فهو بالاضافة الى عمله هذا - أي الحفاظ على الطبقة الوسطى من التساقط - أيضاً على تلقف الكثير من العناصر المتساقطة من الطبقة الكادحة الى تحت أي البطالة والتسول مبقياً بذلك على صنعتها الطبقية السابقة او دافعاً اياها الى فوق .

واذا نحن اردنا أن نصنف الطبقة الكادحة فئوياً فان بإمكانها ان تثبت كما يلي :

- ١ - العمال
- ٢ - الفلاحين
- ٣ - الصيادين
- ٤ - الرعاة .
- ١ - العمال :

ونقصد بهم عمال المباني والطرق والحراسة والعمال الزراعيين .

ومعروف أن كل هذه الاعمال تمارس في نطاقات ضيقة جداً وبأساليب ووسائل جد بدائية ، الا أن هذه الفئة بالذات هي الفئة الصاعدة في المجتمع أي الفئة المتطورة من حيث هي



فئة الى أن تشكل في السنين القادمة طبقة متكاملة -  
ومتميزة أكثر من غيرها يدلنا على هذا نوعية المستقبل  
الذي ينتظر العمل في المجالات السابقة والاتجاه  
التاريخي للمجتمع نحو مزيد من التعقيد ومزيد من  
الحركة التناقضية . وإذا كان المجتمع اليوم يتصف  
بالتقارب الطبقي الكبير أو شفافية الفواصل الطبقيّة  
وإذا كانت دعوة التقدم نفسها تنادي بمثل هذا  
التقارب وتعمل عليه إلا أنه من المعروف أيضاً أن  
التقارب الذي ينتج عن التقدم والرخاء الاقتصادي  
الشامل يختلف كلياً ونوعياً عن التقارب الذي ينتج  
عن شمول التخلف وجمود الطبقات عند مستوى  
معين . ومن الحتمي عندما تزال العوائق والموانع  
المصطنعة الموضوعة أمام حركة التقدم في هذا المجتمع  
من الحتمي أن تتخذ من الطبقات طريقها التاريخي  
الديالكتيكي نحو الظهور والتميز .

## ٢ - الفلاحون :

هذه الفئة استطاعت السياسة الاقتصادية  
للسلطة أن تجعل منها فئة جامدة تماماً ان لم نقل  
هابطة على الرغم من أهمية هذا المجال المعيشي  
والإنتاجي للمجتمع وعلى الرغم من حيويته بالنسبة  
لحركة التطور . وتعاني هذه الفئة منذ سنين بعيدة  
مديدة من أثقل أنواع الضغوط الاقتصادية والخنق  
المادي بقصد تحطيمها وتجميد توسعها الطبقي وبقصد  
الحيولة دون أن يتحول هذا المجال الرئيسي إلى  
متنفس اقتصادي أو مسبب لتلطيف مستوى المعيشة .  
وبالإضافة إلى أن الفئة تميل تحت وطأة سياسة

الخنق والضغط الاقتصاديين إلى الهبوط والتساقط  
فإن هناك شلة قليلة من أصحاب الملكيات المتوسطة أو  
(القطاعيين الصغار) تساعد بشكل أو بآخر على أن  
تأخذ هذه السياسة مداها وتتخذ طريقها المرسوم  
والأمثلة على الفلاحين الصغار الذين سلموا أراضيهم  
لامثال هؤلاء تحت شتى أنواع الضغوط الاقتصادية  
(ديون ، قروض ربا) التي تمارس في خبث وجشع  
أمثلة كثيرة ومتنوعة . أن هناك نوعاً من اللقاء سواء  
كان هذا اللقاء آلياً أو مقصوداً بين سياسة السلطة  
في تحطيم الملكيات الصغيرة وارهاق الفلاحين وبيس  
جشع النفر من القطاعيين الصغار وتطلعهم إلى  
توسيع ملكياتهم والارتفاع إلى مستوى القطاع  
الفعلي وعلى الرغم من هذا فإن فئة الفلاحين فئة وإن  
كانت جامدة أو متقهقرة بشريا في الظروف الراهنة  
إلا أنها ولا شك ذات مستقبل طبقي واقتصادي وذلك  
لأن المجال الزراعي يشكل العمود المركزي في  
امكانيات البلاد الاقتصادية ومدخراتها كما أن المستقبل  
الذي ينتظر الطبقة العاملة بصيرورتها الطبقة السائدة  
اجتماعياً ليس بالمستقبل الرأسمالي أو الصناعي  
المتقدم في سنوات قليلة بحيث يستطيع مستقبل هذه  
الطبقة أن يملأ على المجتمع كل أو معظم حياته  
ونشاطاته الاجتماعية وإذا كانت المرحلة القطاعية  
لم ولن تتحقق بالمعنى المفهوم في هذا البلد نظراً لصغر  
حجم المجتمع وصغر المساحات الزراعية فإن مرحلة  
من الملكيات الفردية الصغيرة لمعظم الأراضي الزراعية  
لا بد أن تؤكد نفسها وأن تلعب دوراً تقديمياً في حياة

## ٢ - الصيادون

هذه الفئة الكادحة هي أكثر الفئات على الإطلاق تماسكا وتجانسا وهي على قلتها تحمل على كاهلها كل اعباء الانتاج في هذا المجال وبوسائل جد بدائية ومرهقة ولقد كان من الطبيعي ومن المتوقع أن تحقق هذه الفئة لنفسها شيئا من النمو والتحسين في حياتها المادية نظرا لغني هذا المصدر المعيشي مع قلة المشتغلين فيه الا أن النتيجة جاءت عكسية على طول الخط فبالرغم من الجهود المضنية المتراكمة وبالرغم من الصراع والمقاومة لم تستطع فئة الصيادين أن تحقق اي تقدم في حياتها بل تقهقروا وضيقا أكثر وهذا عائد في اصله الى سببين رئيسيين :

اولهما بدائية وسائل الانتاج وتخلفها .

وثانيهما الاستغلال الاقتصادي البشع الذي تمارسه السلطة تجاهها عن طريق ابتزاز قيمة ما يعادل نصف جهدها وكدها بواسطة عدد من الضرائب والرسوم الجائرة .

وتقاسي هذه الفئة مضافا الى هذا كله انزلا اجتماعيا ومعنويا تمارسه تجاهها السلطة بل والمجتمع نفسه لاوضاعه القبلية ومفاهيمه العرفية القديمة مما عزلها عن المجتمع عزلا شبه كامل وضرب على حياتها المسكنة والخضوع . الا ان سير التاريخ وطبيعة قوانين التطور لابد أن تضع حدا لهذا كله ولا بد لهذه الظاهرة (ظاهرة العزلة والانزلال المعنوي) أن تتراجع باستمرار بتراجع النظام القبلي نفسه وبنقص

وسائل الانتاج وتطويرها ولسوف تذوب الفئة نفسها مستقبلا ضمن الطبقة العاملة نتيجة للتطور المنتظر تاريخيا بالنسبة للانتاج في المجالين .

## ٤ - الرعاة

ونقصد بهم هنا رعاة البقر والابل والاغنام أي سكان الجبال والبادية وهذه الفئة الكادحة هي الأكثر اتساعا وانتشارا كما انها في الوقت ذاته أكثر تخلفا وبدائية . هذا التخلف والبدائية التي تحاول السلطة دائما ان تبقى عليهما في هذه الفئة بشتى الوسائل الاقتصادية وبالذات فيما يخص سكان الجبل هادفة من وراء ذلك الى عزلهم عن باقي جسم المجتمع وعزلهم بالتالي عن الحياة السياسية ومشاكل المدن كما ان ابقائهم على مستوياتهم يمكن ان يشكل عزاء بالنسبة لبقية فئات المجتمع واعلاء نسبيا للمستويات الحضارية عند هذه الفئات . وهذا يحمل لا شك تكريسا وابقاءا للتناقض الصارخ بين مستويين حضاريين لحياة مجتمع واحد . حتى برزت الحالة وكان سكان المدن يشكلون طبقة فوقية تباشر الاستغلال المادي لطبقة انزل منها هم سكان الجبال . وما دام بقاء هذه الفئة على المستويات التي هي عليها مرهون ببقاء المستوى الحضاري المتخلف للمجتمع كله وخاصة في مجالات العمل ومرهون ثانيا ببقاء سياسة الحكم الحالي فان المستقبل المعبر عن طبيعة تطور المجتمعات لابد أن ينهي تركيب هذه الفئة نهائيا بانهاء عزلتها عن باقي المجتمع وفتح مجالات العمل الاخرى امامها بحيث تندمج في النصف الثاني من المجتمع مشاركة اياه في اعماله ونشاطه ومشاركا اياها في اعمالها وملكياتها .



هذه هي الطبقة الكادحة بفئاتها الرئيسية الاربع ، الطبقة المغلوبة ، الطبقة المستغلة (بفتح الغين) الطبقة صاحبة المستقبل لانها ليست صاحبة الحاضر، الطبقة صانعة تاريخ المجتمع والذي منها لا بد أن ينطلق اي عمل ثوري حقيقي يستهدف قلب الاوضاع القائمة بكافة مؤسساتها وعلاقاتها القديمة .

### ثالثا - الحالة المادية :

١ - السياسة الاقتصادية ب - الانتاج وانعكاساته

### ١ - السياسة الاقتصادية

تمارس السلطة على هذا المجتمع الصغير سياسة اقتصادية مخيفة بقصد اخماد روحه وشل حركته وعملا على تسخير ابنائه مطايا ذلولة يركبها الحكام الى اهدافهم التسلطية والترفيهية حتى أصبـح البعض نتيجة لاستمرار هذه السياسة طوال السنين التي مرت والتي تقاس بعمر الاجيال أصبحوا يحفرون هذه الاهداف في بساطة مسلمين في حقوقهم الطبيعية كادحين لحساب غيرهم في صمت ومن غير تذمر . وذلك لان اي نظام مهما كان جائرا وارايبيا اذا استطاع أن يضمن لنفسه عمرا هو عمر الاجيال فانه يستطيع عبر هذا العمر الطويل أن يفرز بسياسته الاقتصادية وحدها جيلا أو مجتمعا ذا قيم ومفاهيم وتقاليد تتناسب مع طبيعة هذا النظام ، تدعم سياسته ادركت ام لم تدرك وتتلقى تصرفاته واحكامه في يسر وبساطة وخضوع . وذلك ايضا لان اسلوب معيشة الناس هو الذي يحدد ادراكهم وليس ادراكهم هو الذي يحدد اسلوب معيشتهم وان الوجود الاجتماعي هو

الذي يقرر طبيعة الوعي الاجتماعي وليس العكس . يضاف الى هذان ان السياسة الاقتصادية هنا تستند في اساسها الى قاعدة أو نظرية مشهورة هذه القاعدة او النظرية هي : العمل المستمر الصارم على ابقاء الشعب عند المستوى المادي الذي لا يسمح له بالتفكير في الشؤون السياسية والحقوقية وذلك يتحقق من خلال اغراقه في المشاكل المادية اليومية وشغل تفكيره بالمعضلات البيئية والمعيشية الصغيرة .

فالرخاء الاقتصادي يشكل حتما خطرا جسيما على الطاعة العمياء . وان سياسة الخنق الاقتصادي التي تمارسها الدولة على كل مجال للانتاج أو وسيلة للعيش هي من أجل خدمة هذا الهدف قبل أي شيء آخر ولنحاول الان ان نثبت هنا اهم ظواهر ومجالات هذه السياسة :

### ١ - الخنق في مجال التجارة

يتمثل الخنق الاقتصادي في مجال التجارة في احكام تعسفية كثيرة أهمها ما يلي :

- ١ - الرسوم الجمركية الخيالية والتي تصل في كثير من البضائع ٤٠ أو ٥٠٪ من سعر البضاعة .
- ٢ - الزيادات المعتمدة في تقدير اسعار البضائع من أجل أن يرتفع مجمل الرسم الجمركي .
- ٣ - الاضافات الكيفية التي توضع بعد تقديم السعر وتصل الى ٢٠ و ٣٠٪ .

٤ - عدم السماح ببناء دكاكين جديدة مما ادى الى غلاء الدكاكين السابقة وارتفاع اجارها ارتفاعا فاحشا . وهذا المنع في توسيع السوق يعطي اثرين في

وقت واحد فهو أولا ينفر الاهالي من التجارة وثانيا  
يرفع أسعار البضائع كتفاد للافلاس ويرهق التجار .  
٥ - تغطية السوق بالعملة المحلية المقلدة مما  
يهدد مستقبل التجارة ويزعزع الاطمئنان في قلوب  
أصحابها .

٦ - انخفاض القدرة الشرائية لدى المستهلكين  
الناتجة عن الانخفاض الهائل في مستوى دخل الفرد  
مما يشل حركة التجارة ويهبط بمستوى الارباح .

### ب - الخنق في الزراعة

يمارس الخنق في هذا المجال بوسائل كثيرة  
اهمها :

١ - الضرائب الفاحشة على مكائن الماء والغلاء  
المضاعف في اسعار وقودها . فالسلطة هي التي  
تحتكر بيع هذا الوقود وتفرض عليه الاسعار التي  
تريدها .

٢ - عدم السماح بتوريد الوقود من الخارج .  
٣ - الضرائب المرتفعة على الارض حتى أصبح  
الكثير من الاراضي الزراعية لا تقدر على تغطية حتى  
تكاليفها .

٤ - عدم تنظيم اسواق خارجية للمنتجات  
الزراعية الرئيسية .  
٥ - تحطيم السوق الداخلية عن طريق خفض  
القدرة الشرائية عند الاهالي .

### ج - الخنق في أعمال البحر :

١ - الضرائب المرتفعة على نزول البحر .

٢ - الضرائب المرتفعة على ادوات وسائر  
الصيد كالشباك والخيوط والقوارب وغيرها .

٣ - عدم تشجيع أو حتى السماح بادخال  
الوسائل الحديثة في الصيد .

٤ - عدم التشجيع على التبييس والتعليق  
وتنظيم أسواق خارجية لها .

٥ - انخفاض القدرة الشرائية لدى المستهلكين .

### د - الخنق في الرعي والانتاج الحيواني

١ - الرفع الخيالي لاسعار (العيد) عن طريق  
رفع ضرائبها ورسومها الجمركية . وغلاء العيد هنا  
هو الهدف في حد ذاته وما رفع الضريبة الا وسيلة  
الى تحقيق هذا الهدف .

٢ - السرقة التي تبتز باسم الزكاة ويستغل فيها  
اسم الدين كذبا واحتيالا .

٣ - استئثار السلطة باهم مصادر المياه الطبيعية  
وعدم الاهتمام بتنظيم بقية هذه المصادر .

### ٥ - الخنق في مجال العمل العمالي :

١ - الخصم الكيفي والغريب لاجور العمال  
والمستخدمين في المطار والذي يبلغ النصف او يزيد  
في بعض الحالات انها ضريبة (السخرة) التي عرفها  
ظلام العصور الوسطى في اوربا موضوعة في ثوب  
جديد . فهذا الاجراء شأنه شأن أكثر الاجراءات  
التعسفية الاخرى يحقق هدفين في آن واحد فهو من  
ناحية يضمن بقاء العمال عند مستوياتهم المادية  
الضئيلة خدمة للسياسة الاقتصادية المذكورة آنفا ثم  
هو من ناحية اخرى يشكل مصدرا آخر للدخل يصيب



في جيوب الحكام ويستغل عرق العمال وطاقاتهم ابشع استغلال . ان الخصم من اجر اثنين من العمال فقط يكفي في الشهر لسد مرتب موظف يتقاضى سبعة رايالا .

٢ - الضرائب الموضوعة على قصاصة الحجار وما يتعلق بها من اعمال البناء .  
٣ - الخصم التعسفي من أجور المشتغلين باعمال النقل البحري .

٤ - جلب الموظفين والعمال الاجانب ورفع اجورهم عن العمال الوطنيين الذين من نفس المستوى خبرة وقدرة وخصائصهم بامتيازات أخرى كثيرة .  
كان هذا عن السياسة الاقتصادية ونأتي الان الى (الانتاج) .

### ب - الانتاج وانعكاساته

الانتاج او (اسلوب الانتاج) كما يجمع علماء الاجتماع الثوريون هو القوة الاساسية التي تحدد هيئة المجتمع وطابع النظام الاجتماعي وهي التي تقرر تطوره من مرحلة حضارية الى أخرى فتاريخ المجتمعات البشرية على أساس هذا المفهوم هو تاريخ تطور الانتاج نفسه . وعندما تقال كلمة (الانتاج) و (اسلوب الانتاج) فان هذه الكلمة تحوي عنصرين رئيسيين :  
العنصر الاول قوى الانتاج وهذه بدورها تتفرع الى شيئين :

١ - ادوات الانتاج : من ادوات صناعة او ادوات زراعية او بحرية او منجمية او غيره كما تشمل الثروات الطبيعية .

من ارض زراعية او معادن على شكل ابارا ومناجم معدنية .

ب - اليد العاملة أو القوة البشرية التي تعمل على هذه الادوات المذكورة .

العنصر الثاني : علاقات الانتاج وهي ما يختص بنوع الملكية وطبيعة العلاقة الاجتماعية القائمة بين العامل وصاحب الرأسمال او المالك والمستأجر أو الدولة والعامل او الاقطاعي والفلاح (قن او عاملي زراعي) .

والانتاج في هذا المجتمع او اسلوب الانتاج يتميز بثلاث صفات اساسية :  
الصفة الاولى : اعتماده على وسائل انتاج بدائية ، متخلفة جدا وبسيطة .

59 الصفة الثانية : محدوديته وانحصاره على اعمال الزراعة والبحر والرعي .

الصفة الثالثة : تخلف علاقات الانتاج وجورها ويجب ان نشير هنا الى أن التخلف الكبير في قوى الانتاج نفسها (الالية والبشرية) جعل هذه العلاقات المتخلفة تبدو شبه منسجمة وشبه متطابقة مع قوى الانتاج .

انعكاسات وتأثيرات الانتاج على حياة المجتمع .  
لو حاولنا أن نعلل ثبوت المجتمع على شكل واحد من السلطة السياسية طوال هذه السنوات وكذلك ثبوته على النظام القبلي المهتري وثبوته على تقاليدهما ومفاهيمهما وقيمهما لو حاولنا أن نعلل ثبوته واستمراره على كل ذلك لوجدنا ان مرد هذا هو في ثبوته على قوى الانتاج نفسها بنفس المستويات

النوعية والكمية • وكذلك بالنسبة لاستمرار ظاهرة الرق والعبودية فهي تستند في بقائها الطويل هذا على دعامتين هما :

الدعامة الاولى والرئيسية هي التخلف الكبير والفظيع للانتاج ووسائله والتي تشبه الى حد كبير نفس الوسائل الانتاجية التي كان يعتمد عليها المجتمع الثاني ونقصد مجتمع الرق • فالانسان المملوك (اي العبد) والذي شأنه شأن اية ملكية أخرى كان في نظام مجتمع الرق القديم يشكل الوسيلة الاولى والرئيسية للانتاج في المجتمع •

اما الظاهرة الثانية او الدعامة الثانية التي تستند عليها ظاهرة الرقيق فهي بقاء واستمرار النظام القبلي بعلاقاته البطرياركية (سلالات فخائذ) والذي كان يشكل اوضح والمع ظواهر وسمات المجتمع الرقي • هذا مع الاخذ بعين الاعتبار أن النظام القبلي نفسه ما كان ليبقى ويستمر لو ان مستوى المعيشة في المجتمع ارتفع الى الحد الذي يسمح فيه بان يكون لغالبية الافراد دخلا معقولا يزرع الاطمئنان في نفوسهم ويضمن لهم حياة عائلية خاصة غنية الروابط والدعائم القبلية المصطنعة وهذا يعني بالنتيجة أن بقاء مستوى الحياة المادية للمجتمع عند النقطة التي هو عندها أو بالقرب منها شرط في بقاء النظام القبلي نفسه بشكل بالمقابل احد الشروط الاساسية في استمرار بقايا نظام الرق • وهذا بدوره يجزنا الى عدة استنتاجات بارزة أهمها أولا :

ان التقلص المطرد الذي نلمسه لبقايا نظام الرق نتيجة آلية وحتمية للتفسخ المطرد الذي ينخر في بناء

الوضع القبلي •

ثانيا : أن التفسخ المطرد الذي نراه ينخر في الوضع القبلي نتيجة آلية وحتمية للتحسن النسبي الذي طرأ على مستوى المعيشة للمجتمع وارتفاع القدرة الشرائية لدى الناس ارتفاعا نسبيا وهذا راجع في معظمه الى عامل استثنائي هو عامل الهجرة والمروء الخارجي (الاسفار) •

ان الجمود أو (البطء) الكبير الملحوظ في حركة تطور هذا المجتمع راجع بالدرجة الاولى الى (خفة) أو (رخاوة) صراع المتناقضات ويأتي على راس هذه المتناقضات بالطبع صراع القوى الاجتماعية الطبقية • باعتبار أن نضال المتناقضات يشكل دائما حركة ديناميكية وحركة كل واقع •

وهذه الرخاوة او الجمود في الصراع التناقضي لمجتمعنا هذا يمكن ارجاعها هي الاخرى وبكل ثقة الى الاسباب التالية :

١ - التطابق شبه الكامل بين قوى الانتاج المتخلفة وعلاقات الانتاج المتخلفة •  
٢ - البطء الملحوظ في نمو الطبقات ان لم يكن جمودها •

٣ - قلة السكان وتبعثرهم في عدد كبير من المدن الصغيرة باعتبار أن صغر حجم التجمعات البشرية يؤدي حتما الى بهوت وعدم وضوح في الفواصل الطبقية • ان التجمعات الكبيرة للسكان تساعد أكثر على تجسيد وابرار التناقضات وبالتالي زيادة حدة الصراع بينهما مما يشيع فيها الحركة ويعمل على التغيير باستمرار وخاصة في اساليب الانتاج •



٤ - وأخيرا الأوضاع القبلية في هذا المجتمع بما تفرزه من صراع مشوه غير واقعي ومن فواصل وحواجز وهمية . أن الصراع الطبقي في ظل هذه الأوضاع يظل صراعا مائعا وجانبيا وتكون الفواصل الطبقيّة مغلقة بأغلفة ميتاميزيقية من (أخاء القبيلة) و(نصرة القبيلة) و(الثأر) وغيرها كما تفعل نفس الفعل الأوضاع الطائفية في حياة أي مجتمع .

ان العمل المقصود أو غير المقصود من السلطة لاعاقة تطور قوى الانتاج من أدوات وأناس يعملون على هذه الأدوات ومحاولة تجميد هذه القوى عند النقطة التي هي عندها هو اكبر مسبب لبقاء الوضع الاجتماعي والسياسي على ما هما عليه طوال هذه الفترة ، وذلك لان الانتاج بقواد الانتاجية وعلاقاته الاجتماعية هو الذي يحدد كما قلنا هيئة المجتمع وهو الذي يقرر انتقاله من نظام الى آخر ، وذلك لان التطور والتغير في قوى الانتاج تغييرا وتطورا ملموسين لابد ان يؤدي الى صهر النظام الاجتماعي والسياسي بعلاقاته ومؤسساته صهرا جديدا كما أن هذا يعني من ناحية أخرى أن تجميد الانتاج عند نقطة معينة يبعد من الافق وينسف أهم الاخطار التي تهدد الوضع القائم بالانفجار من الداخل . الا أن المعروف في الوقت نفسه ولحسن حظ الشعوب وطبقاتها الكادحة ان اسلوب الانتاج لا يمكن أن يقف مدة طويلة عند نقطة معينة فهو دائما في حالة نمو وانتقال وكلمنا تستطيع المحاولات المستميتة من قبل الطبقات المستغلة ان تفعله هو التخفيف من سرعة هذا الانتاج أو تجميده لبعض الوقت . أن مستوى قوى الانتاج الحالية في هذا البلد وطبيعة العلاقات الاجتماعية

المنبثقة عنها تقيم منذ سنوات طويلة مصالحه أو انسجاما مع طبيعة النظام القائم ومؤسساته ومع مفاهيم وقيم المجتمع الحالية ومع تصنيفاته الفئويّة والعشائرية والعرفية ، وذلك في نظرنا لان البناء الفوقي للمجتمع أي النظام السياسي والحقوقى والاخلاقي والقيم الافكار والتقاليد هذا البناء يقوم ويستند على بناء آخر تحتي هو البناء الاقتصادي لهذا المجتمع فما دام هذا البناء التحتي الاقتصادي والذي هو أسلوب الانتاج لم يتعرض لاية تحولات وتطورات اساسية فان البناء الفوقي المستند عليه يظل هو الاخر قائما دون ان يصاب بأي تغيير جذري ملموس .

61 الا انه في السنوات الاخيرة وفي الستينات بالذات بدأ هذا الانسجام أو المصالحة تعاني من تصدعات وخدوش وهي بالرغم من كونها طفيفة وسطحية الا انها متطورة ، تحمل معها بذور التفاقم والانتشار . وتظهر التصدعات والخدوش هذه في شكل نقمة لا واعية أو مترددة أو في شكل ارتياب وفقدان تام للثقة في السلطة .

ومرجع هذه الظاهرة في الاصل الى عوامل ومسببات يقف على رأسها ثلاثة :

العامل الاول : حدوث بعض التطورات والتغيرات البسيطة في قوى الانتاج وخاصة في مجال الزراعة والبحر مما عمل على دفع عجلة التنافس بين هذه الفوضى الانتاجية وبين علاقات الانتاج خطوة الى الامام .

جديدة بكشفها عن الملكيات الصغيرة للاراضي والتي لم تعد في مستوى القدرة على استيعاب الالة وتغطية تكاليفها نظرا لصغر مساحة هذه الاراضي بالاضافة الى ضعف خصوبتها نتيجة لقلّة العناية الناتجة بدورها عن الجهل الزراعي وقلّة الامكانيات .

هذه أهم وليست كل النتائج والاثار التي عكسها دخول هذه الالة الصغيرة في حقل الزراعة . ولنضرب مثلا افتراضيا آخر يدل على صحة الكلام السابق عن دور الانتاج فلو اننا افترضنا اعتبارا أن السلطة الحالية شجعت أو سمحت بدخول الوسائل والادوات الحديثة الى مجال معيشي مثل مجال البحر والصيد . فان النتيجة التاريخية والحتمية يمكن تسجيلها سلفا بكل اطمئنان وهي ان هذا المجال الانتاجي (مجال البحر) سوف يجذب اليه اعدادا كبيرة من الاهالي العاطلين وغير العاطلين وسوف تتضخم هذه الفئة نتيجة لذلك تضخما كبيرا وتنتقل بالتدريج نتيجة لهذا التضخم ولوحدة المصلحة والروابط التي ستزيدها الايام قوة ومثانة ، تنتقل من كونها فئة صغيرة الى أن تصبح طبقة متميزة متماسكة وفي حالة توقف الفئات الاخرى عن النمو ستشكل هذه الطبقة السائدة في المجتمع (ونقصد بالسائدة هنا الاكثر عددا تماسكا) وسيرتفع مستواها الاقتصادي والمعنوي ومن هذا كله ستبرز خطورتها المحدقة على النظام القائم وعلى (الطاعة العمياء) الناشرة سلطانها على دعائم الفقر والضعف والجوع ، وذلك لان الطبقة عندما تبلغ تلك الدرجة من القوة والتطور تدخل باعتبارها قوة منتجة متطورة في تناقض مع علاقات الانتاج المتخلفة القائمة بقصد تحطيم هذه العلاقة التي لم تعد من مستواها أو مطابقة لها .

العامل الثاني : القفزة النوعية الملموسة في مستوى الوعي السياسي والاجتماعي التي حققها الشباب عن طريق الاسفار او اجهزة الراديو في الداخل بحيث خلق هذا الوضع مجتمعا تتجاوز فيه علاقات بربرية ومفاهيم القرون الوسطى مع احداث النزعات الاجتماعية والافكار السياسية .

العامل الثالث : تزايد التفكك القبلي والتدهور المستمر في المركز السياسي للقبائل ودورها في الحياة الاجتماعية يضاف اليه تقلص ظاهرة الرق وانحسارها المطرد عن حياة المجتمع .

ولاعطاء الامثلة عن دور الانتاج ودور الحياة المادية للمجتمع نذكر هنا التطور الآلي (الفني) طرأ على وسائل الانتاج الزراعي بادخال مكائن الماء الحديثة فهذه النقلة الصناعية في نوعية وسائل الانتاج الزراعي على بساطتها عكست آثارا سريعة وواضحة على الحياة العقلية والحقوقية والسياسية للمجتمع . فهي أولا ساعدت على اذابة وثفتيت جزء من بقايا نظام الرق باحلالها محل الانسان في جانب من الخدمات الزراعية فقللت بذلك كثيرا من الهمية التي كانت معلقة على امتلاك انسان (السعيد) . ثم هي ثانيا عملت جذريا على تفاقم وتزايد مشكلة البطالة فأصبحت البئر (المزرعة) اليوم لا تستوعب في الغالب أكثر من أربعة سواعد بعد أن كان في مقدورها ان تستوعب اكثر من هذا الرقم بكثير .

ثم هي ثالثا : عملت على تضخيم عبء الضرائب الجمركية وتشديد وطأتها على الاهالي اكثر واكثر . من طريق الضرائب الخيالية على المكائن وغياراتها بالاضافة الى الغلاء الفاحش في اسعار الوقود . ثم هي رابعا : خلقت مشكلة زراعية نوعية



# مراسلة

## اضراب قطارة

ان عمال المنجم معرضون لمرض السيلكوز الذي يلحق الرئتين ، وقانونيا يجب أن يكونوا محميين من هذا الداء . ففي قطارة لا تمارس أية وقاية صحية والعمال المرضى يعتبرون مصابين بالسل ، وحين ينزل العمال الى المنجم يستغل رئيس المصلحة أو القسم أساليب منحطة أخلاقيا مع زوجاتهم .

63

وقد قرر العمال رفض هذه الوضعية وبدأوا منذ ١١ مارس يطالبون بحقوقهم عبر اضرابات محدودة توجت باضراب دام ٤٨ ساعة يومي الجمعة والسبت ١٦ و ١٧ أبريل .

وفي يوم الاثنين ١٩ صباحا صدر قرار اعفاء ٧ مسؤولين نقابيين ومفوضين رغم أن القانون يمنع هذا التصرف ، وكان للعمال رد فعل ٠٠ ففي الساعة ٢ زوالا (الوقت الذي يقع فيه ابدال فرقة بأخرى) قررت فرقة الصباح أن تبقى في القعر حتى يقع ارجاع السبعة المطرودين ، والتحققت فرقة ما بعد الظهر بالفرقة الاخرى حتى أصبح عدد المعتصمين بالقعر ١٠٩ من العمال .

وأرسل القائد أربع سيارات ثقيلة للمخزنية كي تحاصر أبواب المنجم ، مانعا عائلات العمال ورفاقهم من القيام بأية مساعدة .

قبيل فاتح مايو ، جاء هذا الاسم - قطارة - ليقدم للجماهير مثالا آخر للنضال « ولاد خليفة وقطارة » انطلاقا كرمز لتحرك الجماهير ولرفضها الاضطهاد والاستغلال .

تقع قطارة على بعد ٣٠ كلم شمال شرق مراكش في أراضي الجبيلات القاحلة ، ومنذ ١٠ سنوات أخذت تكتسي أهمية كبرى كمنجم ، وهي تسد كل حاجيات ماروك شيمي « المغرب كيميا » بأسفي وذلك فيما يخص معدن البيروطين الذي يستعمل لصنع حامض الفسفور وهي تستغل من طرف مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية وهو جهاز للدولة .

ويوجد في قطارة ٤٠٠ عامل يعيشون في ظروف تتحدى الضمانات القانونية التي حققتها البروليتاريا المعدنية بعد الاستقلال . فيعملون كمستخدمين باليوم ، وهذا ينزع لهم حق التقاعد ويبقون رهن إشارة الاضطهاد الذي يمارسه أرباب العمل . فأجرتهم تبلغ ٦ دراهم في اليوم بيد أن الحد الأدنى للأجرة القانونية يساوي ٨ر٢٥ درهم في مراكش . وان العمال الذين ينزلون الى قعر المنجم ، يمارسون مهنة صعبة ودقيقة ، وهذا يسمح لهم قانونيا بالاحراز على درجة ٣ الى ٥ من قانون العامل في المنجم ، أي باجرة تنطلق من ١٠ درهم بغض النظر عن المكافآت .

وبقيت الحالة هكذا يومين ، وهدد العمال باستعمال ١٥ قنطار من المتفجرات يستعملونها عادة في العمل كي يخرج المخزنية ، وفي نفس الوقت اطلقوا التيار الكهربائي على كل منافذ النجم .

وهكذا تراجع الحكم ، فأمر المخزنية بالانسحاب . في هذا اليوم ، الاربعاء ٢١ أبريل أذيع على أجهزته اندعائية بلاغات كاذبة تتكلم عن أعمال تخريبية .

ولكن العمال بقواني موقف قوة ، وبدأ التضامن فقد قام ٣٠٠ عامل بتجهيز رفاقهم وعائلاتهم ، وقد أعطى التجار الصغار بقطارة قرضا لا بأس به للجنة الاضراب :

ومن مراكش سافر عدد من التلاميذ والعمال المناضلين الى قطارة كي يعبروا عن تضامنهم . فعمال مراكش يساعدون عمال قطارة ، وعمال خريبكة واليوسفية يوجهون الى رفاقهم عبر المواصلات البريدية تضامنهم .

وان المسؤول النقابي بمراكش قد

حاول التراجع عن الاضراب أو الاقناع ببعض التنازلات ، ولكن العمال رفضوا كل نقاش في هذه النقطة ويطالبون بصرامة بارجاع كل رفاقهم مستعملين الهاتف لابلاغ مطالبهم .

أما الاتحاد العام للشغالين بالمغرب « فان قناعه قد انكشف ، وقد جاء مسؤول هذه « النقابة » من مراكش يطالب الادارة بمكتب ، فأفرغت قاعة الدرس لارضائه .

واستمر النضال حتى ٣٠ أبريل ، وفي هذا اليوم بعد الزوال بلغت الادارة العمال بان رفاقهم سيقع ارجاعهم وبان كل مطالبهم مقبولة ، ففي الساعة الواحدة صباحا ، وصلتهم لائحة تحمل اسماء رفاقهم المطرودين ، فطلع ال ١٠٩ عاملا الى السطح والتقوا في فرح برفاقهم ال ٣٠٠ والتقوا كذلك في نفس الجو بعائلاتهم واطفالهم .

فمعهم سيشاركون بمراكش في مظاهرة الطبقة العاملة .

ج.م.م مراكش





1870

1871

1872

1873

1874

1875

1876

1877

1878

1879

1880

- خطوة متواضعة على طريق مجهود نظري كبير مطروح كمسؤولية ملحة على كل مثقف متشبع بروح تقدمية وثابة نحو ثقافة جديدة .
- خطوة على طريق فك الحصار الثقافي الامبريالي - الرجعي وصد الهجوم الكثيف الذي تمارسه قوى الاستغلال والتضليل بدون هوادة .
- مبادرة تدعو لفتح النقاش الجدي والمجدي بين المثقفين العرب حول القضايا العربية الجسيمة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الوطن العربي .
- مجهود مخلص يرمي الى اخصاب الفكر التقدمي المغربي ، وطرح القضايا الاساسية لبلادنا على بساط الدرس والتحليل ، وازاحة هيمنة الفكر البرجوازي على الساحة الوطنية .
- ذلك ما تصبو اليه مجلة «انفاس» بطموح كبير وتواضع اكبر .
- فمن أجل دعم الثورة الفلسطينية والتعريف بقضاياها الحيوية بمنظار تقدمي علمي ،
- ومن أجل توضيح الرؤية حول قضية تحرير الامة العربية وحول حركة التحرير العالمية عامة بكل مسؤولية وصراحة ،
- ومن أجل ملء الفراغ الكبير في حقل الثقافة التقدمية ببلادنا ،
- ومن أجل ثقافة جديدة وفكر ملتزم ،
- ننادي كل المثقفين الواعين الغيورين لمساندة « انفاس » والمساهمة في مجهودها بابحاثهم وانتقاداتهم ،
- وننادي كل الشباب الواعي المتطلع لفكر جديد ليتبع باطراد مجلة « انفاس » ويدعمها بأرائه وانتقاداته .